الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: (لسانيات تطبيقية)

ظاهرة الإعراب في اللّغة العربية
بين الأصالة والاكتساب:
–دراسة تحليلية نقدية–

مقدّمة من قبل:

الطّالبة: لبنى عنابي

تاريخ المناقشة: 2023/06/17

أمام اللّجنة المشكلة من:

الاسم واللّقب	الرّتبة	الصّفة	الجامعة
إبراهيم براهمي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
نبيلة قريني	أستاذ محاضر أ	مشرفا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كمال حملاوي	أستاذ محاضر ب	ممتحنا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السّنة الجامعية: 2023/2202

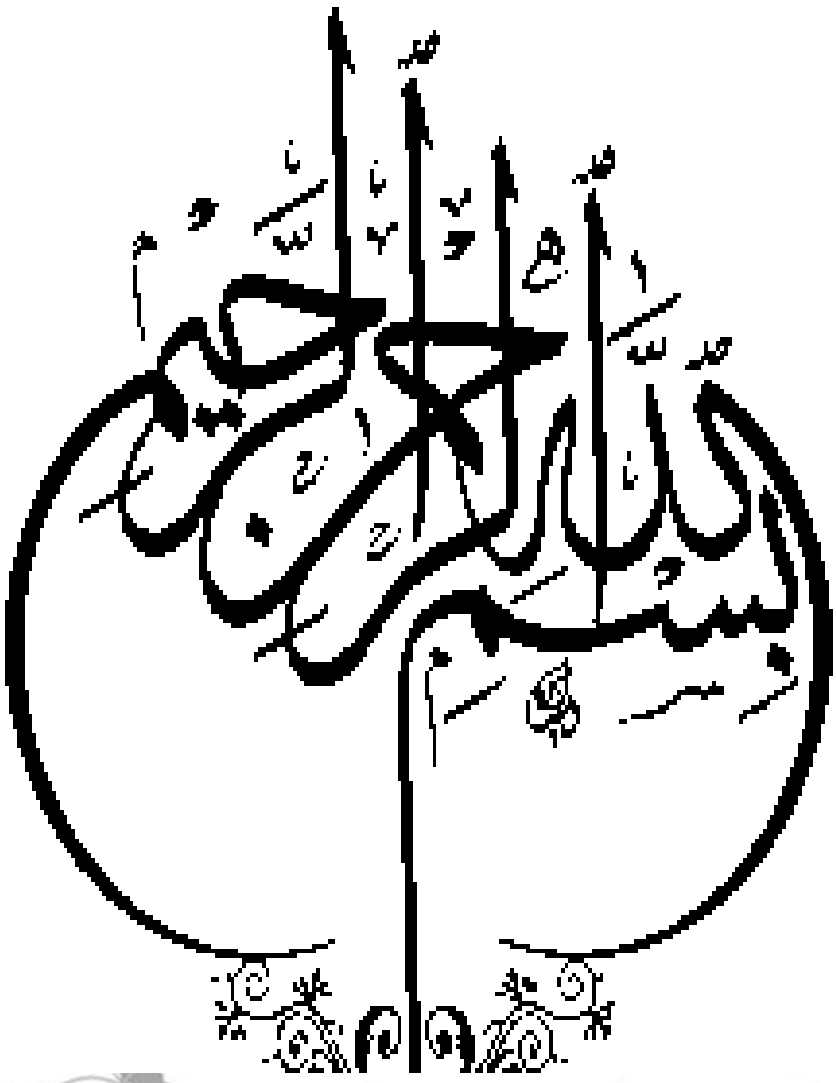

الرّموز المستعملة في البحث

الرّمز	دلالته
ص	صفحة
مر .ن	مرجع نفسه
مر. س	مرجع سابق
ص.ن	صفحة نفسها
تر	ترجمة
ط	طبعة
د. ط	دون طبعة
د. ت	دون تاريخ
تح	تحقيق
د. تح	دون تحقيق
ع	عدد
مج	مجلد

مقدمة

تعد اللّغة العربية من أقدم اللّغات الإنسانية وأعرقها، وإن كانت الإفاضة في مراحل تطورها منذ ظهورها إلى أقدم ما وصل من نصوصها المكتوبة مبتغىً لم تصل فيه الأبحاث العلمية إلى درجة اليقين. والثابت أن هاته اللّغة نشأت في حدود شبه الجزيرة العربية، وأنها تُصنَّف ضمن شجرة اللغات السّامية.

وقد مرّت بمراحل من التّطور والنّماء –ولاتزال كذلك–حتى استوفت لنفسها خصائص مميّزة من غيرها من أخواتها السّاميات، واحتفظت ببعض الخصائص التي تحفظ لها انتسابها إلى اللغة الأم.

ولعلّ من أهم هذه الخصائص "الإعراب"؛ إذ تعتمد العربية في تحديد معانيها إلى حدّ كبير على ظاهرة الإعراب، فتتغير حركات أواخر الكلمات في التّراكيب تبعا لتغيّر موقعها منه. محدّدة بذلك المعنى المقصود.

وبالرغم من أن الدّراسات التّاريخية تتفق على أن الإعراب كان خاصية مميِّزة للغات السّامية، واحتفظت به العربية دون أخواتها الساميات–اللهم إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية والآرامية والحبشية–فقد ثارت حول مسألة الإعراب هاته نقاشات وادّعاءات كثيرة، يزعم بعضها أن الإعراب ظاهرة مصطنعة لا أصيلة في العربية، وأخذت هذه الادّعاءات أبعادًا كبيرة حتّى مسّت النّص القرآني.

وفتح بابها مستشرقون وعرب على حد سواء، وكان لهم بالمرصاد غيورون على العربية ودينها، اجتهدوا في ردّ هذه الشبهات بما أوتوه من معرفة وجهد.

ومن هاته المعطيات انطلق بحثنا ليفصل القول في الآراء الواردة في مسألة أصالة الإعراب من عدمه، وجاء موسومًا بـ:" **ظاهرة الإعراب في اللغة العربية بين الأصالة والاكتساب: دراسة تحليلية نقدية**".

وانطلق البحث من تساؤل رئيس، هو: ما حقيقة الادعاءات التي تُتَّهم بها العربية من جهة الإعراب أهو مصطنع حقًّا أم أصيل؟

وتفرعت عنه تساؤلات جزئية، منها:

*هل لمسألة الإعراب جذور تاريخية في غير العربية؟

*من أوّل من أثار مسألة ادّعاء الإعراب؟ ولِمَ؟

* ما قول الأبحاث التاريخية في المسألة؟

*ما موقف الدّارسين العرب من المسألة طالما أن العربية عنصر أساس من عناصر هويّتهم؟

ولم يكن اختيار الموضوع محض صدفة، وإنّما انطلاقا من قراءات أولية حرّكت فيّ الرغبة في تقصي المسألة من جذورها، بتتبّع آراء الدّارسين فيها من مستشرقين وعرب، لعلّي أقنع نفسي وغيري بضرورة التّمسك بأصل عظيم من أصول العربية ألا وهو الإعراب.

وزاد اهتمامي بالموضوع لأسباب أخرى منها:

- اللامبالاة الملحوظة في استعمال الطبقة المثقفة للعربية دون مراعاة للإعراب، ما يحيل على أن هذه الادّعاءات وجدت طريقها لأنفس العرب قبل غيرهم.
- حبّي للغة العربية، وتعلّقي بها، أثار فيّ رغبة الدفاع عنها ولو بالتذكير بخطورة المسألة وأبعادها؛ ذلك أن الموضوع ليس فيه من الجدّة ما يجعل لي قصب السبق فيه، ولكنه أُشبع دراسة من لدن لغويين أكفاء من مستشرقين وعرب بما لا يقيم لعملي أمامهم وزنا.

ولكن هدف البحث هو التذكير أوّلا وقبل كلّ شيء بهذه الادّعاءات وأربابها، وكذا الرّدود عليها، وأبعاد تلك الادّعاءات، وامتدادها إلى عربية العصر، وهو الأنكى والأمر؛ ذلك أن هاته المسألة وبالرغم من أنّها نوقشت منذ أمد، وأدلى فيها جمع غير نزر من اللّغويين، ممّا يرجح كفّة الحق، إلّا أنّ الواقع الذي تعيشه العربية اليوم في عصر العولمة من تحدّيات جسام-أمرّها مناهضة بعض أهلها لها، ودعوة بعضهم إلى ترك الإعراب ألبتة- يستدعي منّا التذكير بما يحاك ضدّها من مكائد، أملًا في استنهاض همم الغيورين للذّود عنها، والتمسّك بأصولها التي صاحبت النّص القرآني –على الأقلّ-لئلّا تذهب هويّتنا اللغوية في مهبّ العولمة وتداعياتها.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع اتّباع "المنهج الوصفي" مع الاستعانة بآليات أخرى منها: التحليل والنقد.

ومن أجل الإجابة عن التّساؤلات المطروحة، وتحقيق الأهداف المرجوة، جاء بحثنا وفق الهيكل التّنظيمي الآتي:

مقدّمة وفصلان، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وأمّا المقدّمة ففيها طرح الإشكالية، وأسباب اختيار الموضوع، والأهداف المرجوة من البحث، والمنهج المتّبع، وخطة البحث، وأهم المراجع المعتمدة، وكذلك أهم الصّعوبات التي اعترضتنا.

وأمّا الفصل الأول والمعنون بـ: **"العربية والإعراب: تأصيل تاريخي"**، فجاء في مبحثين، تفصيلهما على النّحو الآتي:

المبحث الأول موسوم بـ: "اللغة العربية بين اللغات الإنسانية: تاريخ وتطور". وعرضنا فيه للأسس العامة لتقسيم اللغات الإنسانية ومنزلة اللغة العربية ضمنها، ثم عرضنا المراحل التاريخية الكبرى لتطور اللغة العربية حتى عصر التدوين.

والمبحث الثاني: عنوانه "ظاهرة الإعراب بين اللغات السامية واللغة العربية"، وفصّلنا فيه في مفهوم الإعراب لغة واصطلاحا، والتطور التاريخي لظاهرة الإعراب في اللغات السامية واللغة العربية حتى ظهور اللحن وزوال الإعراب.

وأمّا الفصل الثّاني فموسوم بـ "**ظاهرة الإعراب بين الاصطناع والأصالة**"، وجاء بدوره في مبحثين:

ضمّ المبحث الأول تفصيلا لآراء المنكرين للإعراب من مستشرقين وعرب، مع عرض حججهم، وكذا أبعاد القول باصطناع الإعراب.

وضم المبحث الثاني تفصيلا لآراء المثبتين لأصالة الإعراب مع ردودهم على المنكرين، وحججهم في ترجيح أصالة الإعراب.

وأمّا الخاتمة فتضم أهم النتائج المتوصّل إليها من خلال البحث.

ومن أجل إنجاز هذا البحث والإجابة عن إشكاليته بطريقة منهجية والإلمام بجوانب الموضوع اعتمدنا على عدد من الكتب التراثية والحديثة، أهمها: كتاب "الإيضاح في علل النحو" للزجاجي، و"فصول في فقه اللغة" لرمضان عبد التواب وكتاب "من أسرار اللغة" لإبراهيم أنيس، وكتاب "العربية والإعراب" لعبد السلام المسدي.

وقد واجهتني في إنجاز البحث بعض الصعوبات منها سعة الموضوع وتعدد جوانبه، مع صعوبة الإحاطة بها كلّها قياسًا بالزمن المخصص لإنجاز المذكرة، وكذا عدم التمكن من الاعتماد على مراجع المستشرقين بلغاتهم الأصلية.

وبالرّغم من ذلك اجتهدنا في إنجاز البحث وإتمامه في وقته المحدّد.

وختامًا نستذكر قوله تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ **[سبأ4]**، وعسى أن نكون ممّن يصدق عليهم قوله في نيل أجر العمل الصّالح الذي نرجوه من عملنا هذا.

وختامًا وبعد شكرنا لله عزّ وجلّ نتوجه بخالص الشّكر والتّقدير للأستاذة المشرفة **"نبيلة قريني"**، وأعضاء لجنة المناقشة وكلّ أساتذة قسم اللّغة والأدب العربي الذين أفادونا في تدرجاتنا الجامعية، ولا ننسى كلّ من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو بعيد، بقليل أو كثير.

الفصل الأوّل

العربية والإعراب: تأصيل تاريخي

المبحث الأول: اللّغة العربية بين اللّغات الإنسانية: تاريخ وتطور.

المبحث الثاني: ظاهرة الإعراب بين اللّغات السّامية والعربية.

المبحث الأول: اللّغة العربية بين اللّغات الإنسانية: تاريخ وتطور.

تمهيد:

تعتبر قضية اللّغة من أهم القضايا التي اهتم بها الفلاسفة والعلماء عموما، واللغويون على وجه الخصوص من حيث مفهومها وطبيعتها ونشأتها وأقسامها، لكونها الوسيلة الأساسية للتواصل البشري.

يمتدّ تاريخ أقدم الدراسات اللغوية إلى حضارات عصور ما قبل الميلاد في الحضارات، لا سيما اليونانية، وبالمثل اعتنت سائر الأمم بلغاتها. ولم يشذّ العرب عن هذا القانون؛ حيث اعتنوا بلغتهم أيما عناية، لا سيما مع نزول القرآن الكريم، فظهرت علوم كثيرة تتصل بالعربية اتصالا وثيقا، وتناقش مسائلها تفصيلا.

وعرفت العناية باللغات الإنسانية عموما تطورا ملحوظا بتطور الدراسات، لا سيما مع ظهور فقه اللغة التاريخي والمقارن، الذي عكف على دراسة اللغات الإنسانية في عمومها، محاولا رصد أوجه الاتفاق والافتراق بينها، ومراحل تطورها عبر العصور.

أولا: الأسس العامة لتقسيم اللغات الإنسانية

تقسم اللغات الإنسانية حسب عدة معايير أهمها:

1-التقسيم بحسب الشجرة العائلية:

قسمت اللغات الإنسانية بحسب الشجرة العائلية إلى لغات سامية ولغات حامية.

1.1-اللغات السامية:

يعود أصل تسميتها إلى سام بن نوح عليه السلام، وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو المستشرق الألماني "شلوتزر" (schlozer)، أخذا من جدول تقسيم الشعوب الموجود في التوراة، ذلك الجدول الذي يرجع كل الشعوب التي عمرت الأرض بعد طوفان نوح عليه السلام إلى أولاده الثلاثة: سام، وحام، ويافث، نشأت هذه اللغات السامية في آسيا وإفريقيا في أواخر العصر الحجري الحديث.[1]

وتصنف أنواعها على النحو الآتي:

أ-لغات **سامية غربية شمالية:** وتضم عددا من اللغات وهي:

[1] – رمضان عبد التواب، فصول فقه اللغة، مكتب الخانجي، القاهرة، مصر، ط06، 1999، ص 26.

***اللغة الكنعانية:** هي لغة شعب سامي قطن الهلال الخصيب الذي يشغل أقاليم سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، يعود الامتداد الزمني لهذه اللغة إلى حوالي القرن 13 ق.م، وقد اخترع هذا الشّعب أبجديَّة الكتابة المختزلة بالنسبة للخط المسماري والهيروغليفي، ليصبح أساسا لجميع خطوط العالم في الشرق والغرب.[1]

* **اللغة الفينيقية:** لغة تشعبت عن الكنعانية، كان متحدَّثوها يقطنون السَّاحل الشَّرقي من البحر المتوسط، يرجع امتدادها إلى القرن الخامس ق.م وماتلاها من قرون، وقد وصلت إلينا عن طريق نقوش قديمة، وأمَّا الكلمات فوصلت بفضل مستعمرات الفنيقيين، وقد انت انشرت لغتهم في كثير من البلاد الواقعة على سواحل البحر المتوسط –مدينة قرطاجة–.[2]

* **اللغة الأوغاريتية:** هي اللغة السَّاميَّة الثَّانية من حيث تاريخ تدوين أقدم النقوش، فقد دوّنت نقوشها حوالي 1400 ق.م، وقد اكتُشِفَتْ هذه النّقوش في أطلال مدينة قديمة وهي "أوغاريت"، توجد بالقرب من رأس شمرة على ساحل الشام، واللُّغة الأوغاريتية أقدم لغة سامية عرفتها منطقة الشام.[3]

* **اللغة الآراميَّة:** هي من أبسط اللُّغات الساميَّة، يعود امتدادها التاريخي إلى حوالي القرن 15 ق.م، تنقسم اللُّغة الآراميَّة بسبب نفي أهلها وانتشار لغتهم إلى مجموعة من اللَّهجات هي: آرامية غربية، وتشمل اللهجات الآرامية في سوريا وفلسطين، أما الغربية فتشمل لهجات العراق الجنوبيَّة والشماليَّة، وتختلف هاتان المجموعتان إحداهما عن الأخرى في كثير من مظاهر الصّوت والدَّلالة.[4]

ب–لغات سامية شرقية: وتضم اللغات الأكادية البابلية الآسيوية:

ترتبط الأكادية بالسّاميين الأوائل الذين استوطنوا العراق، والذين استمر وجودهم اللغوي والحضاري والسَّياسي بعد ذلك في الإمبراطوريتين البابلية والآشورية اللتان ظهرت لغتيهما بعد صراع لغوي بين اللُّغات الساميَّة ولغات السكان الأصليين، وكان هذا منذ عصور سحيقة، حوالي القرن 36 ق.م وما تلاه، وقد اعتمد السَّاميَّون على الخط المسماري أنذاك في تدوين لغاتهم.[5]

---

[1] – حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، دار القلم، دمشق، سوريا، ط02، 1990 ص 48.

[2] – عبد الواحد وافي، فقه اللُّغة، نهضة مصر، الجيزة، مصر، ط01، 1997، ص 35–36.

[3] – مخفي عبد الغني، 2016، معجم الألفاظ المشتركة للغات الساميَّة [مذكرة ماستر] جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ص 46.

[4] – عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2004، ص 48.

[5] – حسن ظاظا، السَّاميون ولغاتهم، ص 46.

ج–لغات جنوبيَّة غربيَّة: وفيها:

* **اللّغات الحبشية:** يرجع الباحثون أنَّ الفضل في نشر اللسان السامي في بلاد الحبشة يرجع إلى عشائر سامية، هاجرت إليها من جنوب بلاد العرب"اليمن" قبل الميلاد بقرون، وامتزجت بسكان الحبشة الأصليين الذين كان معظمهم يتألَّف من أجناس حاميَّة، فاشتبكت الألسنة، وانتهى بانتصار الساميين، ولكن ورغم ذلك الانتصار، فإنَّ طول احتكاكها باللَّهجات الحاميَّة قد ترك فيها الكثير من الآثار، فاكتسبت بذلك صفات خاصَّة أبعدتها عن بقية اللُّغات الساميَّة.[1]

***اللّغة العربيَّة:** هي أكثر اللُّغات الساميَّة انتشارا، وحفاظا على تاريخها اللغوي يتمركز متحدِّثوها في الوطن العربي، هي لغة دينهم هذا ما جعلها مقدَّسة، موطنها الأصلي أو الأوَّل هو بلاد الحجاز.

2. 1–اللُّغات الحاميَّة: يعود أصل تسميتها إلى حام بن نوح عليه السلام، وتنقسم إلى ثلاث مجموعات هي: المجموعة المصريَّة القديمة، الليبيَّة البربريَّة وهي المستعملة في شمال إفريقيا، اللغات الكوشيَّة نسبة إلى كوش وهو أحد أولاد حام.

وقد اصطلح على إدخالها في مجموعة واحدة مع أن صلات القرابة بينها ضعيفة، ولذلك يعدّ بعضهم كل فرع منها مستقلا برأسه على حده.[2]

3. 1–خصائص اللُّغات السَّامية:

للُّغات السَّاميَّة خصائص مشتركة على الصعيد الصَّوتي والصَّرفي والتركيبي، فقد وجد الدارسون مجالا واسعا للمقارنة بينها، بما أن السَّاميَّين لم يتفَّرقوا في مناطق شاسعة ولم ينقطع التواصل بينهم.

ويكمن مجال المقارنة في كثير من الصيغ والأفعال، فقد لاحظ الباحثون في أصل اللُّغات اشتراكا بين السَّاميَّات في اعتمادها على الحروف وحدها، وعدم إعطائها الحركات اهتماما مشابها تحتوي على حروف الحلق والإطباق والأسنانية ...

ووجد الباحثون من الخصائص المشتركة: كثرة الأصول الثلاثية والمبنية قياسا على تلك الأصول، ووجدوا الزمنين الرئيسيين لحدوث الفعل وهما الماضي والمستمر، وتغير الدَّلالة بتغيُّر حركات الكلمة الدَّاخلية.

[1] – عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 70-71.

[2] – صبحي الصالح: فقه اللغة في الكتب العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص: 43.

وفيما عدا ذلك نلاحظ المشابهة في بناء الموازين الاسمية والفعلية، وكذلك اتفاق صيغ الضمائر وطريقة استعمالها، هذا إلى بناء صيغ الفعل، والمشابهة الكبيرة نوعا ما في تركيب الكلام وبناء الجمل، وطريقة الكتابة المعتمدة من اليمين إلى اليسار، وأخيرا كثرة المفردات المشتركة بين هذه اللُّغات.[1]

2-تقسيم اللغات بحسب ظاهرة الإعراب:

تنقسم اللُّغات الإنسانية بحسب ظاهرة الإعراب إلى لغات غير معربة ولغات معربة:

أ-اللُّغات غير المعربة: هي ما تعرف باللُّغات المبينة، وهي الّتي ليست لها أنظمة إعرابية، ترتكز على الحركات والحروف في أواخر الكلم، كالفرنسية، والإنجليزية ...إلخ.

ب-اللُّغات المعربة: وهي اللُّغات التي لها نظام وصفي لخواتم كلماتها مرتكز على الحركات والحروف.

ويعتبر الإعراب ظاهرة مميزة للغات السَّاميَّة، إذ يُرجع بعض الباحثين تاريخ الحركات الإعرابيَّة إلى بداية الألف الثَّالث قبل الميلاد على الأقل، أي قبل سبعمائة سنة من أقدم نص كتابي أكاديمي معرب.

ويذهب بعض الباحثين إلى أنَّ الإعراب كان موجودا في جميع اللُّغات السَّاميَّة، ثم خفّ حتى زال من أكثر تلك اللغات، وبناء على ذلك فإن اللغة السامية الأم لغة معربة، وقد أورثت بناتها هذه الظاهرة؛ ظاهرة الإعراب بالحركات أو بالحروف.

ومن اللُّغات السَّاميَّة من فقدت هذه الحركات، ولم يبق منها ما يدلُّ عليها كالسريانيَّة، ومنها من بقيت فيها المظاهر الإعرابيَّة متجمدة كالعبريَّة والآراميّة وغيرهما، ومنها ما بدت فيها الحركات الإعرابية واضحة وكثيرة كالأكدية والأوغاريتية وغيرهما، وهذه اللُّغات تحتفظ بحالات الإعراب، الموجودة في اللُّغة السَّاميَّة الأم،[2] ومنها من حافظت على هذه الظَّاهرة بشكل كامل ومفصَّل كالعربية.[3]

3-طريقة أخرى لتقسيم اللغات إلى فصائل:[4]

[1] - محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2001، ص 124.

[2] - خالد إسماعيل، فقه اللُّغات العاربة المقارن، مكتبة البروج، إربد، الأردن، (د.ط)، 2000، ص 225.

[3] - سحر العقَّاد، ظاهرة الإعراب في اللغات السَّاميَّة، دار الفكر، حلب، سوريا، 1990، ص 47.

[4] - صبحي الصالح: فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 45، 46.

هناك طريقة أخرى لتقسيم اللغات الإنسانية تستند إلى قوانين التطور والارتقاء المتعلقة بقواعد الصرف والتنظيم. وأشهر نظرية في هذه الطريقة هي نظرية العلامة "شليجل" (Schlegel)، التي اتبعه عليها باحثون كثر.

واللغات في ضوء هذه النظرية ثلاث فصائل:

أ/ **اللغات التحليلية:** هي المتصرفة التي تتغير أبنيتها بتغير النعاني، وتحلّل أجزاؤها المترابطة فيما بينها بروابط تدل على علاقاتها، ومنها اللغات السامية، وفي مقدمتها اللغة العربية

ب/ **اللغات الإلصاقية:** هي لغة وصلية، تمتاز بالسوابق واللواحق التي تربط بالأصل، فتغير معناه وعلاقته بما عداه من أجزاء التركيب/ ومنها: التركية واليابانية.

ج/ **اللغات العازلة:** وهي اللغات غير المتصرفة، فبنية الكلمات فيها لا تتغير، وأصولها لا تلصق بها حروف زائدة لا قبلها ولا بعدها، مثل اللغة الصينية.

ثانيا: تاريخ اللُّغة العربيَّة حتى عصر التدوين.

تعدّ اللغة العربية من أقدم اللغات الإنسانية؛ إذ تضرب بجذورها إلى عصور ما قبل التاريخ. ولكن البحث في تاريخها تفصيلا لا تسعفنا إليه الأبحاث العلمية، وكل ما يمكن الجزم به استنادا إلى المعطيات العلمية أنها تندرج ضمن اللغات السمية، وموطنها الأصلي شبه الجزيرة العربية.

ولعل أهم مراحل تطورها نرصدها في الآتي:

1-أقسام العربيَّة بحسب أقدميتها:

تنقسم العربية بحسب أقدميتها إلى عربيتين: عربيَّة الجنوب وينعت أهلها بـ"العرب العاربة" ويلقبون بالقحطانيين، وعربيَّة الشَّمال وينعت أهلها بـ "العرب المستعربة"، ويلقبون بالعدنانيين، كما قسَّمها الرُّواة والمؤرِّخون.

أ/ **العرب العاربة:** وهم الجنس الأصيل للعرب، ولقّبوا كذلك لأن العربية متأصلة فيهم.

ويلقبون بالقحطانيين، نسبة إلى قحطان وهو جدُّ العرب القحطانيّين، وهو من نسل سام بن نوح عليه السَّلام، يرجع نسبهم إلى عامر المعروف بسبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، يعود أصلهم إلى اليمن، وتنقسم قبائلهم إلى قسمين هما: قبائل كهلان بن سبأ، وقبائل حمير بن سبأ.

ويرجح العلماء أن أصلهم من الحبشة، وكان ظهور دولتهم من القرن الثامن إلى سنة 115 قبل الميلاد. [1]

ب/ العرب المستعربة: وهم سكان الشمال "شمال بلاد اليمن" أي الحجاز ونجد وما وراء ذلك، وهم العرب العدنانيُّون نسبة إلى عدنان جد العرب العدنانيّين، وهو من ذريَّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد أخذوا العربيَّة من القحطانيين وتعلَّموها[2]، وهم أحدث من العرب العاربة، ويبتدئ تاريخهم في القرن السادس قبل الميلاد. [3]

ويلقبون بالعرب المستعربة لأنهم أجناس غير عرب في الأصل وفدوا على شمال شبه الجزيرة العربية من البلدان المجاورة واستقروا فيها، فتعربوا بمخالطة أهلها من سكان الجنوب بعد هجرتهم إلى الشمال.

ج/ صراع القحطانيين والعدنانيين: إنَّ القحطانيين جلوا عن ديارهم بعد سيل عرم، وقد حدث عام 447م، كما حقَّقه المستشرق النمساوي "إدوارد غلازر" "EDWARD GLASER"، وتفرقوا في شمال الجزيرة، واستطاعوا أن يخضعوا العدنانيين لسلطتهم بما لهم مكن قوَّة في العراق والشَّام، فكان إذن بين الشعبين اتصال سياسي وتجاري يقرِّب بين اللُّغتين في الألفاظ، ويجانس بين اللهجتين في النطق، دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى، لقوَّة القحطانيين من جهة، ولاعتصام العدنانيين بالصَّحراء من جهة أخرى، وتطاول الأمد على هذه الحال في القرن السَّادس للميلاد، فأخذت دولة الحميريين تزول، وسلطتهم تزول بتغلب الأحباش على اليمن طورًا، وتسلَّط الفرس عليهم طورًا آخر، وكان من تأثيره ما يلي:

– تقوية سلطان قريش، وذلك لأنَّ القرآن نزل بلغتها كما سبق ذكر هذا.

– دعامة الدين الإسلامي الذي اعتنقه معظم قبائل العرب.

– تهذيب اللُّغة العربيَّة، والنُّهوض بها إلى أرقى مستوى للُّغات والآداب، وذلك على صعيد الألفاظ والمعاني والأساليب، فحذف منها ما بدا غريبا، خشنًا، مستهجنًا وأبقى على كل ما هو ليِّن.

– اتساع الأغراض بفضل القرآن والحديث، لما فتحه القرآن للعربيَّة من أبواب كثيرة من فنون القول كمسائل القانون والتَّشريع والقصص والتَّاريخ والعقائد الدينيَّة والجدل فيما وراء الطَّبيعة، والإصلاح الاجتماعي، والنَّظم السياسيَّة، وشؤون الأسرة، والفلك والقضاء، والطبيعة والحيوان، وقد نجم عن اتساع الأغراض اتساع المعاني والأخيلة والأساليب، استخدمت فيها الحجج العقليَّة والبراهين الفلسفيَّة، ودخلت فيها عناصر

[1] – مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط6، 2001، 1/ 79

[2] – أحمد رشاد، حاتم الطَّائي شاعر الجود والكرم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، 1994، ص 62-73.

[3] – مر. س، 1/ 80

جديدة للخيال والتَّشبيه، وتهذَّبت أساليبها، وتشكلَّت في صورة الأساليب العلميَّة، وتمَّ القضاء على الكثير من الألفاظ اللاأخلاقية الَّتي لا تتماشى مع الدين الإسلامي.[1]

2-العربية بحسب استمرارها:

وتقسم العربية –عربية الشمال خصوصا-من حيث استمرارها إلى عربيتين: عربية بائدة وعربية باقية.

أ/ العربية البائدة: وتسمى أيضا عربية النقوش؛ >لك أنها عربية زالت بزوال الأقوام التي تحدّثتها، وكل ما بقي منها هي نقوش عثر عليها في المناطق التي سكنتها أقوامها. تدل على أن أهلها كانوا عربا، ومن أشهر القبائل العربية البائدة: ثمود واللحيان، والصفا.[2]

ب/ العربية الباقية: وهي العربية التي استمرت لغة حيّة للتواصل، وقد عرفت بدورها مراحل من التطور، حتى وصلت إلينا من خلال نصوص المدونة العربية، المتمثلة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب.[3]

3/ العربيَّة الباقية وأشهر لهجاتها:

استطاعت اللغة العربية أن تتوحّد في فترة من فترات تاريخها الطويل؛ وذلك حين توحّد الناطقون بها من سكان الجنوب والشمال، لكنها ما لبثت أن انقسمت إلى عدة لهجات.

وكان هذا الانقسام نتيجة طبيعة لانقسام الناطقين بها وانتشارهم في أنحاء شبه الجزيرة العربية على اتساع رقعتها، فصعب عليها الحفاظ على وحدتها الأولى، فانقسمت بتأثير المناخ والتضاريس والطابع النباتي والحيواني وكذا التخوم إلى عدة لهجات لكل لهجة خصائصها المميزة.

وهذا الانقسام هو قانون طبيعي تخضع له سائر اللغات الإنسانية؛ فكلما اتسعت رقعة اللغة وتعدد الناطقون بها صعب عليها الحفاظ على وحدتها الأولى، فتنقسم لامحالة.

أ/ مظاهر الاختلاف بين اللهجات العربية: إنَّ اختلاف اللَّهجات العربيَّة يرجع إلى تشكيلات محليَّة للعربيَّة الفصحى، يكمن اختلافها في النّطق والمفردات والتعبيرات من منطقة لأخرى، وقد برز ذلك في عدَّة مستويات: الصوتي والصَّرفي والتركيبي.

---

[1] – ينظر: عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص 93-94.

[2] – ينظر: صبحي الصالح: فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 55، 56

[3] – ينظر: صبحي الصالح: فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 59.

أ–1/ المستوى الصوتي: تمثل الاختلاف فيه في حركات الفتح والإمالة والإظهار والإدغام والتَّسهيل والتحقيق والتفخيم والتَّرقيق. ورغم الاختلاف في الظَّواهر التِّي سبق ذكرها، إلا أن ظاهرة الإبدال –والتي تكمن في إبدال حرف مكان آخر بغرض التسهيل ومجاراة الصِّيغة الشائعة–أخذت الحيز الأكبر، ومن مظاهرها نجد: [1]

*الكشكشة: وهي إبدال كاف المخاطبة شينًا في المؤنث نحو: عيناك تصبح عيناش.

* الكسكسة: هي قلب كاف المخاطب سينًا نحو عليك تصبح عليسَ.

*العنعنة: إبدال الهمزة عينًا نحو: أنَّ تنطق عنَّ.

وهناك مظاهر أخرى للإبدال يطول ذكرها كالتلتلة والشنشنة والعجعجة والفحفحة والاستنطاء والحنكيَّة.

أ–2/ المستوى الصَّرفي: كان التفاوت اللُّغوي فيه بارزا أيضا وأهم ما ذكر:

*كسر حرف المضارعة: نحو: يِكتب، تِجلس... وكانت هذه الظَّاهرة في لغة جميع العرب إلَّا الحجاز.

* التثنية في اللُّغة: كالتحدث عن المفرد بصيغة المثَّنى، لأن العرب لم تتعوَّد على السَّفر فُرادَى.

* ظاهرة الإعلال: وهي تغيير يطرأ على الكلمة الَّتي أحد حروفها علَّة ويكمن في حذف الحرف أو قلبه أو تسكينه.[2]

وهناك ظواهر لغوية عديدة تتعلّق بالجانب الصّرفي مردّها إلى اختلاف اللهجات مثل الترادف والتضاد والمشترك اللفظي.

أ–3/ المستوى التَّركيبي: وأما مظاهر الاختلاف في المستوى التركيبي فلم تكن بتعداد سابقتيها، بل كانت قليلة، ومن مظاهرها الاختلاف في علامات الإعراب، فبعضها يتمثَّل بحركة في الوقت الذي توجد فيه أخرى تخالفها، فمنها ما يتعلق بالأسماء ومنها ما يتعلق بالأفعال، ومنها ما يتعلق بالحروف.[3]

[1] – ينظر: السّيوطي، المزهر في علوم اللُّغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1986، 1/ 93

[2] – ينظر: مص. ن، 1/ 98.

[3] – محمَّد عبد الرحمان محمَّد، اختلاف اللَّهجات على المستوى التركيبي كتاب توضيح المقاصد والمسالك للمرادي نموذجا، مجلة جامعة جازان، جامعة جازان، المملكة العربية السُّعودية، ع 02، ماي 2013، ص 06.

*مع الأسماء: إعراب المثَّنى: قال المرادي: في المثَّنى وما ألحق به في لغة أخرى هي لزوم الألف رفعا ونصبا وجرًّا، وهي لغة بني الحارث بن كعب وقبائل أخر، وفي هذا النَّص أشار المرادي إلى أنَّ للعرب في إعراب المثنَّى لغتين هما:

-أن المثَّنى يرفع بالألف، وينصب ويجرُّ بالياء، لزمت هذا كل من زبيد، حثعم، كنانة وهمدان...

- إلزام المثنَّى الألف رفعا ونصبا وجَّرا.[1]

*التَّعدُّد مع الأدوات: نصب الجزأين بإن وأخواتها، كنصب بعض بني تميم لخبر لعلَّ فيقولون: لعلَّ زيدًا أخانا.[2]

3-لغة قريش وعوامل انتصارها:

كانت اللهجات العربية تتصارع على نحو تصارع القبائل العربية، وبعد مدة من الزمن كُتِب النصر للهجة قريش من بين سائر اللهجات، وعرفت انتشارا واسعا بين أخواتها؛ حيث أصبحت اللغة الرسمية التي يتعامل بها العرب والأعراب إذا ما جاوزوا نطاق القبيلة، كما اشتهرت لغة قريش بقوة فصاحتها، وخلوها من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ

ولم يكن انتصار لغة قريش وانتشارها وكذا فصاحتها محض صدفة، وإنما تظافرت في ذلك عوامل عديدة جعلت منها لغة سائر العرب. ويمكن إيجاز عوامل فصاحة وانتشار لغة قريش في الآتي: [3]

أ/ العامل الديني: ظهرت قريش في القرن الخامس قبل الميلاد، وسكنت مكة حول الكعبة، وللكعبة مكانتها المقدسة في نفوس العرب منذ عهد إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، فكانت وفود الحجيج تفد على مكة، وكانوا القرشيون يقومون بسدانة الكعبة وخدمة الحجاج، وكانوا إذ ذاك يتخيرون من لغات الحجيج يضيفونه إلى لغتهم، ويتخلصون في المقابل من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ، حتى تمت لها الفصاحة بعد أمد، كما أن وفود الحجيج كانت تستمع إلى لغة القرشيين وتحفظها، ما كتب لها الانتشار موسم حج بعد موسم حج.

وفي هذا الصدد يقول ابن فارس: «أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة...فجعل قريشا قطّان حرمه، وجيران بيته الحرام، فكانت

[1] - مر. ن، ص9.

[2] - مر. ن، ص 25.

[3] - مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، 1/ 93 وما بعدها.

وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج... وكانت قريش –مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها–إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طُبِعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب». [1]

ب/ العامل الاقتصادي: عرفت قريش منذ أقدم عصورها بالتجارة نشاطا يمتهنه أشرافها وسادتها، واشتهرت برحلتين تجاريتين عظيمتين كانتا سببا في ثرائها، جاء ذكرهما في القرآن الكريم، هما رحلتا الشتاء والصيف، قال تعالى:﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ﴾[قريش/ 1، 02]

كانت رحلة الشتاء جنوبا إلى اليمن، ورحلة الصيف شمالا إلى الشام، وكانتا تستغرقان فصلا بأكمله ذهابا وإيابا، وكان التجار –لا محالة –يتوقفون عند قبائل عربية عديدة إمّا للتجارة أو التّزود بالماء والطعام، فكانوا يتخيرون من لغاتهم ما يستسيغونه من الألفاظ ويضيفونه إلى لغتهم، وفي المقابل كان هؤلاء العرب يحفظون من لغة قريش ما ييسّر لهم التواصل مع أهلها، ما أسهم في فصاحة وانتشار لغة قريش مع تعاقب الرحلات.

ج/ العامل السياسي: من قوانين المجتمعات قديما وحديثا أن الذي له حظوة دينية واقتصادية تكون له بالضرورة حظوة سياسية، وذلك ما تأتى لقريش؛ فمكانتها الدينية المقدسة في نفوس العرب، وكذا ثراؤها جعل لها مكانة سياسية مرموقة بين سائر القبائل العربية؛ إذ كانت الوفود المتناحرة والمتنازعة من العرب تقصد قريشا لتصلح ذات بينها، فكان أشراف قريش يستمعون إلى لغات الوفود يتخيرون منها الفصيح يضيفونه للغتهم، ويتخلصون في المقابل من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ حتى تمت لها الفصاحة، وأما الوفود فكانت تحفظ من لغة قريش ما ييسّر عليها التواصل مع أهلها ومع غيرهم من العرب، ومن ثمة أسهم العامل الاقتصادي بدوره في فصاحة وانتشار لغة قريش.

ومن هاته المعطيات أضحت لغة قريش لغة العرب كافة فيما يجاوز نطاق القبيلة، وجعلوها لغتهم الأدبية المشتركة أثروا فيها مثلما تأثروا بها. [2] ولذلك أشاد اللغويون القدامى بلغة قريش واعتبروها النموذج الأرقى للاحتجاج، يقول السيوطي(911هـ) –نقلا عن الفارابي–: «كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا وإبانة عمّا في النفس».[3]

---

[1] – ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص:55.

[2] – ينظر: صبحي الصالح: فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 109.

[3] – السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، ضبط وتعليق: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، (د. ب)، ط2، 2006، ص: 47

4-اللغة العربية زمن نزول القرآن وما بعده:

اختار الله سبحانه وتعالى خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم من قريش أشراف العرب، وشرّفهم به، وجاء القرآن بلسان عربي مبين، فأسهم القرآن والحديث النبوي الشريف بدورهما في فصاحة وانتشار لغة قريش، واللغة العربية بصفة عامة. يشهد بذلك المستشرق "يوهان فك" قائلا: «لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام؛ ففي ذلك العهد –قبل أكثر من 1300عام- عندما رتّل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبن، تأكدت روابط وثيقة بين لغته والدين الجديد، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة».[1]

ولا يخفى على ذي علم فضل القرآن والحديث النبوي في إثراء اللغة بالألفاظ والتراكيب والأساليب، وكذا فضلهما في انتشارها بانتشار هذا الدين الجديد؛ إذ جاوز بها نطاق شبه الجزيرة العربية الذي استقرت فيه ردحًا غير يسير من الزمن، ليصل بها إلى مشارق الأرض ومغاربها بفضل الفتوحات الإسلامية.

وكان لانتشار العربية خارج شبه الجزيرة العربية تأثير سلبي عليها؛ ذلك أن الأجناس غير العربية التي اعتنقت الإسلام والتي حاولت اكتساب اللسان العربي وقعت في اللحن، الذي ما لبث أن انتشر في ألسنة الأعاجم والعرب على حدّ سواء، ما استدعى من أرباب العربية العمل لأجل صونها صونًا بذلك لكتاب الله، ومن ثمة جاء النحو العربي، حماية للغة من اللحن، وذودا عنها من الاندثار.

[1] – يوهان فك: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب"، تر: عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2004، ص: 9.

المبحث الثاني: ظاهرة الإعراب بين اللّغات السّامية والعربية.

تمهيد:

تعد اللّغة العربية – على ما مر ذكره – من أقدم اللّغات الإنسانية وأعرقها، وإن كانت الإفاضة في مراحل تطورها منذ ظهورها إلى أقدم ما وصل من نصوصها المكتوبة مبتغىً لم تصل فيه الأبحاث العلمية إلى درجة اليقين.

والثابت أن هاته اللّغة نشأت في حدود شبه الجزيرة العربية، وأنها تُصنَّف ضمن شجرة اللغات السّامية.

وقد مرّت بمراحل من التّطور والنّماء –ولاتزال كذلك–حتى استوفت لنفسها خصائص مميّزة من غيرها من أخواتها السّاميات، واحتفظت ببعض الخصائص التي تحفظ لها انتسابها إلى اللغة الأم.

ولعلّ من أهم هذه الخصائص "الإعراب"؛ إذ تعتمد العربية في تحديد معانيها إلى حدّ كبير على ظاهرة الإعراب، فتتغير حركات أواخر الكلمات في التّراكيب تبعا لتغيّر موقعها منه. محدّدة بذلك المعنى المقصود.

أولا: مفهوم الإعراب

1–لغة: الإعراب مصدر الفعلِ أعربَ، ووزنُهُ أَفْعَلَ، وهو مزيد بالهمزة، مجرّده عَرُبَ.

ويأتي في اللغة بمعنى "الإبانة والوضوح". جاء في لسان العرب: «...وقال الأزهري: الإِعْرَاب والتَّعْرِيب معناهما واحد، وهو الإبَانَة، يقال: أَعْرَبَ عَنْهُ لِسَانه، وعَرَّبَ: أَيْ أَبَانَ وَأَفْصَحَ، و: أَعْرَبَ عَن الرَّجُلِ، بَيَّنَ عَنْهُ، وعَرَّبَ عَنْهُ: تَكَلَّمَ بِحُجَّتِهِ...وَإِنَّمَا سُمِّيَ الإِعْرَابُ إِعْرَابًا لِتَبْيِينِهِ وإِيضَاحِهِ...

وَالإِعْرَاب الَّذِي هُوَ النَّحْوُ، إِنَّمَا هُوَ الإِبَانَةُ عن المعَانِي بِالأَلْفَاظِ، وَأَعْرَبَ كَلَامَه، إِذَا لَمْ يَلْحَنْ في الإِعْرَاب، ويقال: عَرَّبْتُ لَهُ الكَلَامَ تَعْرِيبًا، وأَعْرَبْتُ لَهُ إِعْرَابًا: إِذَا بيَّنْتُه لَهُ حَتَّى لا يَكُونَ فِيهِ حَضْرَمَة».[1]

يقول بطرس البستانيّ: "عرب الرَّجل، يعرب عروبة وعروبيَّةً، كان عربيًّا خالصًا ولم يلحن، وعرب اللّسان أي تكلّم العربيَّة، استعرب الرَّجل صار دخيلا بين العرب، والإعراب مصدر أعرب، وهو مأخوذ من أعربه أي أوْضَحَهُ، فإنَّ الإعراب يوضّح المعاني المقتضية".[2]

وقد تطوّر مفهوم الإعراب في العصر الحديث، وغلبت دلالته اصطلاحيَّة دلالته اللغوية، فورد في معجم اللّغة العربيَّة المعاصرة أنَّ: «الإعراب تغيير يطرأ على أواخر الكلمات العربيَّة نطقا وضبطًا حسب

[1] – ابن منظور، لسان العرب، (د. تح)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط01، 1998، 589/1 مادة (ع ر ب).

[2] – بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، دار رياض الصّلح، بيروت، لبنان، ط 02، 1987، ص: ، مادة (ع ر ب).

مواقعها في الجملة، والعوامل الدَّاخلة عليها، وأنواعه: الرَّفع والنّصب والجر والجزم "الإعراب والبناء". ومحل الإعراب: ما يستحقه اللفظ الواقع فيه من الإعراب لو كان معربا. وحالات الإعراب: الرَّفع والنصب والجر والجزم».[1]

والدلالة الاصطلاحية للإعراب صارت أكثر شيوعا بين الناشئة من أصل دلالته اللغوية، وذلك وارد في اصطلاحات كثيرة مثل الحرف والهمز والإعلال، وغيرها.

ولما كانت الدلالة الاصطلاحية تشكّل لونا من ألوان التطور الدلالي؛ بحيث تصبح الدلالات الاصطلاحية أكثر شيوعًا واستعمالا، وتصبح هي المتبادرة للذهن عند ذكر هذه الألفاظ، فهذا يعني أنها فاقت المدلولات اللغوية الأصيلة، وصارت هي السائدة في الاستعمال اللغوي، «فكلّما شاع المصطلح بمفهومه الجديد في بيئته الخاصة واتسعت دائرة استعماله خرج عن نطاقه الضيق واقترب من نطاق الاستعمال العام. ولعل خير مثال للمصطلحات الخاصة التي قدّر لها الشيوع في الاستعمال العام هو ما يسمى بالألفاظ أو المصطلحات الإسلامية أو الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم والحج...إلخ. »[2]

وما ينبغي التنبيه عليه أن الدلالة الاصطلاحية للكلمات لا تأخذ مكانا لها في حيّز الاستعمال العلمي والعرفي بين ليلة وضحاها، بل إن ذلك الشيوع سواء في العلم الخاص أو بين العامة يستغرق فترة زمنية قد تطول أو تقصر، وهذا يعني أن المصطلحات تغبر زمنًا طويلا تعرف بدلالاتها اللغوية.

ب–اصطلاحا: يعدّ مصطلح " الإعراب " من المصطلحات التي عرفت تطوّرًا في دلالتها بتطوّر الدراسات اللغوية والنحوية. ولعلّ أهم المعاني التي يحيل عليها معنيان:

الأول: الإعراب من حيث هو خاصّية لغوية مميّزة للغة العربية، وملكة فطرية للعربي الفصيح تمكّنه من التزام الصواب اللغوي في ضبط أواخر الكلم، وإدراك الخطأ في الكلام دون حاجة إلى تعلّم القواعد النحوية، وذاك ما ميّز العرب زمن عصر الفصاحة.

وأمّا بعد انقضاء عصر الفصاحة وضعف السليقة اللغوية، فقد أضحت هذه الملكة تُكتَسب من خلال الإحاطة بأحكام العربية، وتُرَوَّض بمعاشرة النصوص الفصيحة من القرآن والحديث والشعر.

[1] – أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 2008، ص1470، مادة (ع ر ب)

[2] – عبد الله بن حمد الخثران: مصطلحات النحو الكوفي: دراستها وتحديد مدلولها، دار هجر، مصر، ط1، 1990، ص: 07

ويعبّر بعض المحدثين عن هذا المعنى بكونه «أصوات مدّ قصيرة تلحق أواخر الكلمات لتدلّ على وظيفة الكلمة في العبارة، وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة.» [1]

وأمّا المعنى الثاني: فهو اعتبار الإعراب صناعة نحوية، تُعنى بتحديد الوظيفة النحوية الكلمة في التركيب اعتبارًا بحركة آخرها، مثل قول: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، ومفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وهذا الضرب الثاني ليس له علاقة باللغة ولا يفقهه مستعملوها، بقدر ما هو اجتهاد عقلي أضحى أساس النحو العربي برمّته، بل ساواه في أذهان المتعلمين، حتّى أضحى مدعاة للنّفور منه.

ولعلّ الناظر في تعريفات القدامى يلحظ خلطًا بين المعنيين، مثال ذلك تعريف الشريف الجرجاني له؛ إذ يقول: «اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظا وتقديرًا»[2].

فينص في الشطر الأول من تعريفه على كونه خاصيّة لغوية، ليصلها في الشطر الثاني بأصول الصناعة النّحوية وهي العامل النحوي، والأصل أن الإعراب من حيث هو خاصية لغوية لا تنبني على فكرة العامل، وإنما جاءت فكرة العامل تفسيرا لظاهرة الإعراب، لا سببا لوقوعها.

ولسنا نعدم إدراك القدامى للطبيعة اللغوية لظاهرة الإعراب وتأصّلها في اللغة العربية، من ذلك ما أقرّه الزجّاجي (337هـ): «...فإن قال قائل: فأخبروني عن الكلام المنطوق به الّذي نعرفه الآن بيننا، أتقولون إنّ العرب كانت تنطق به زمانًا غير معرَب، ثمّ أدخلت عليه الإعراب، أم هكذا نطقت به في أوّل تبلبل ألسنتها؟ قيل: هكذا نطقت به أول وهلة، ولم تنطق به زمانًا غير معرب، ثمّ أعربته....» [3].

وقد فصّل الأستاذ عبد السلام المسدي في مدلولات الإعراب على أنّها ثلاثة: «الأول: الإعراب من حيث هو خصيصة محايثة للغة العربية، والإعراب من حيث هو صناعة نحوية، والإعراب بما هو ملكة يقع

[1]: عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 161.

[2]: الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2004، ص: 29.

[3]: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط03، 1979، ص: 67، 68.

ترويضها بالاكتساب».[1] فميّز بين الإعراب بعدّه خاصية للغة، وبين كونه ملكة، وبين كونه صناعة، وإن كانت الملكة هي التي جعلته خاصية لغوية للعربية.

ولعلّ المدلول الذي يعنينا في هذا المقام هو الأول من حيث كون الإعراب خاصية لغوية مميزة للغة العربية.

ثانيا: فائدة الإعراب في الكلام.

اتفق أكثر النحاة العرب القدامى على أن حركات الإعراب تدلّ على المعاني التي تعتور الأسماء من فاعلية ومفعولية أو إضافة أو غير ذلك.

وخالف هذا الرأي قطرب (206هـ)، وذهب إلى أن الإعراب لا دلالة له على المعاني، وإنما دخل الكلام للسرعة في الكلام ولمنع التقاء الساكنين عند اتصال الكلام. يقول: «وإنما أعربت العرب كلامها؛ لأن الاسم في حلة الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلمّا وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام...».[2]

فهذا رأي قطرب، ويرجّح رمضان عبد التواب أنه رأي لم سبقه به أحد، ولم يتابعه عليه غيره من اللغويين والنحويين القدامى.[3]

وقد أجاب عنه النحويون إجابات تضعف من رأيه وترجح رأي الأغلبية في دلالة الإعراب على المعاني.

ومن أقوال النحاة في ذلك ما أقرّه الزجاجي (337هـ) -حين بسط القول في المسألة في بنية سؤال وجواب-قال: «فإن قال قائل: قد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام، فما الذي دعا إليه واحتيج إليه من أجله؟ فالجواب أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافًا إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيدٌ عمروًا، فدلّوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به، وقالوا، ضُرِب زيدٌ، فدلّوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد على أن

[1]: عبد السلام المسدي: العربية والإعراب، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص: 105.

[2]: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص: 70.

[3]: رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصرن ط6، 1999، ص: 372، 373.

الفعل ما لم يسمّ فاعله، وأن المفعول قد ناب منابه، وقالوا: هذا غلام زيدٍ، فدلّوا بخفض زيدٍ على إضافة الغلام إليه وكذلك سائر المعاني».[1]

وإلى مثل ذلك ذهب ابن جني (392هـ) في الإقرار بدلالة الإعراب على المعنى، يقول: «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت: أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيدا أبوه، عَلمتَ برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحًا لاستبهم أحدهما من صاحبه».[2]

فابن جني هنا يبرز مدى تعلّق الحركات الإعرابيَّة بالمعنى، أي إن المعاني تتغيَّر بتغيُّر الحركات الَّتي توضِّحها، وتبرز الفرق بينها.

وعلى مذهبهما جاء كلام ابن فارس (395هـ) حيث قال: «فأما الإعراب فبه تميَّز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين؛ وذلك أن قائلا لو قالك "ما أحسن زيد" غير معرب، أو "ضرب عمرو زيد" غير معرب، لم يوقف على مراده، فإذا قال: ما أحسنَ زيدًا، ما أحسنَ زيدٌ، أو ما أحسنُ زيدٍ؟ أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني».[3]

ويدل على قناعة القدامى بدلالة الإعراب على المعاني أن أبواب النحو كلّه مبنية عليه، وجعلوا العلامات دالة على الوظائف النحوية؛ فالرفع علامة الفاعلية والنصب علامة المفعولية والجر علامة الإضافة، وما إلى ذلك من التفصيلات.

ثالثا: تأصيل تاريخي لظاهرة الإعراب.

لظاهرة الإعراب تاريخ أصيل وعريق يرجع إلى قرون عدة قبل الميلاد، لها جذورها التي تثبت امتدادها منذ عصور خلت:

1-الإعراب ظاهرة مشتركة بين اللُّغات السَّاميَّة: إن الإعراب في اللغات الساميَّة موجود منذ القدم، بل هو ساميّ المنشأ إن صحَّ القول؛ فقد كانت اللُّغات الساميَّة تعتمد في كتابتها على الحركات والمقاطع،

[1]: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص: 69.

[2] – ابن جنّي، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط01، 2013، 01/ 89.

[3]: ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص: 196، 197.

كاللُّغات الأكاديَّة والبابلية والآشوريَّة القديمة، وكان الإعراب في ذلك التَّاريخ القديم له نفس الحركات والعلامات الموجودة في اللُّغة العربيَّة. [1]

وكان الاسم إذا كان منوَّنا ألحقت به ميم، وهي تقابل نون التنوين في اللُّغة العربية، وهي ما يعرف بظاهرة "التمويم"، وكان هذا ملمحا مسجلا في اللغة البابلية، وكذلك علامة الجمع فهي في البابلية الواو والنونكما في العربية، وفي العبرانية الياء والميم. يقول نولدكه (nöldeke):"إن اللُّغة التي كان يتكلمها أهل مملكة النبط في الأجزاء الشمَّاليَّة منها بالقرب من دمشق كان معظمها ينتهي بنهايات إعرابيَّة عربيَّة واضحة". [2]

وكان المرفوع ينتهي بألف ونون ساكنة وياء ونون في حالتي النَّصب والجر في اللُّغتين الأكادية والبابلية القديمتين، وبياء ممثالة في اللُّغة الآشورية، وكان الجمع المرفوع ينتهي في تلك اللُّغات بالواو وهي علامة الجمع المرفوع في كلِّ اللُّغات السَّاميَّة تقريبا.

غير أن ما ينبغي التنبيه عليه أن الإعراب فقد من أكثر اللغات السامية، واحتفظت به العربية خاصية منبهة على الأصل المتروك.

2/ اللغات المعربة:

استطاع علماء الآثار أن يقفوا على دلائل علمية تثبت وجود الإعراب في لغات سامية، أهمها:

1. 2– البابلية: ساق رمضان عبد التواب نصوصا من قانون حمورابي (175 ق.م) المدوَّن باللُّغة البابلية القديمة، وبيّن فيها تماثل الإعراب بينها وبين العربيَّة، فالإعراب فيها كما هو في اللغة العربية تماما، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب، وعلامة الرَّفع الضَّمَّة، وعلامة النَّصب الفتحة وعلامة الجرِّ الكسرة تماما كما في العربيَّة. [3]

ففي الفقرة الأولى من هذا القانون، نقرأ الجملة التالية:

---

[1] – خليل يحي نامي، دراسات في اللُّغة العربيَّة، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1974، ص 18.

و: مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، 1/ 75، 76.

[2] – إيثار شوقي سعدون، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، وموقف المحدثين منها، مجلة كلية التربية الأساسية، العراق، ع52، 2007، ص: 103.

[3] – رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص: 382، 384

Šummà awelum awelàm abbirma

بمعنى "إذا اتهم الإنسان إنسانا" ففي هذه الجملة نجد a welum الأولى "بمعنى إنسان" في حالة الرَّفعّ فاعل" وهي مرفوعة بالضمَّة، أمَّا الميم الأخيرة فهي في الأكادية تقابل التنوين في اللغة العربية، وwelam a الثَّانية في حالة المفعول وهي منصوبة بالفتحة.

وفي الفقرة الخامسة من قانون حمورابي:

Šummà dayànum dinam iddin

لمعنى " إذا حكم قاضٍ حكمًا" فكلمة dayànum بمعنى " قاضي" في حالة الفاعلية، وهي مرفوعة بالضَّمَّةَ، وكلمة dinam بمعنى "حكم" في حالة المفعوليَّة وهي منصوبة بالفتحة.

وفي الفقرة 195 من هذا القانون:

Šummà maru abàsu imtahas

بمعنى "إذا ضرب ابن أباه" نجد كلمة abàsu بمعنى "أباه" وهو في حالة المفعوليَّة تماما كما في العربيَّة ظهر الإعراب فيما سبق على الصورة المعروفة في العربيَّة الفصحى بالحركات، وكذلك في إعراب الأسماء الستَّة حيث نُصبت كلمة أباه، وكانت الألف علامة للنَّصب.[1]

2.2-الإعراب في اللغة الأكادية:

يذهب "كارل بروكلمان" (Brockelmanu)إلى أنَّ حالات الإعراب الثلاث استمَّرت حيَّة في الاستعمال في اللغة الأكادية، حتَّى اختفت الفروق الإعرابية شيئا فشيئا، إلَّا لأنه يرجح أنَّ ذلك لم يكن إلَّا في الكتابة الَّتي قلَّدت خطأ الكتابة القيمية بعد أنَّ اختفى الإعراب في اللَّغة الحيَّة، فقد كانت الأكادية تمتلك نفس العلامات الإعرابية، لكن في مراحل تطورها الأحدث أي البابلية والآشورية الحديثتين، بدأت تلك العلامات تضطرب ثمَّ اختفت كليًا.

قد تكون العلامة الإعرابيَّة في الأكاديَّة حرفا كما في اللغة العربيَّة تماما: الألف، والواو، والنونَّ وذلك نحو كلمة "أذنان" المثنَّاة، إذ تكون مرفوعة وعلامة رفعها الألف (n19uzan) (أزنان)، وتظهر الياء في حالتي

[1] – رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللَّغة، ص 349.

النَّصب والجر (n20uzn) (أزنين) وفي الأكادية أيضا، يعرب جميع المذكر السَّالم كذلك بالحروف، إذ عرفت الأكادية طريقتين للتَّعبير عن هذا الجمع، الأولى: تكون بمد حركة الإعراب لتصبح واوًا في حالة الرَّفع، وتصبح ياءً في حالتي النَّصب والجر، مع تجريد الاسم من التَّمييم، وذلك نحو كلمة (مُلوك) فتكون (20Šava) (شرانو) في حالة الرَّفع، (20Šanan) (سُرَّاني) في حالتي النَّصب والجزم.[1]

3. 2-الإعراب في اللَّغة الأوغاريتيَّة:

هي لغة معربة كالعربية تماما؛ إذ تظهر الحركات الإعرابية فيها بشكل واضح على كل ما انتهى بهمزة فعلا كان أو اسما.

الضمة فيها والألف والواو وثبوت النون علامات للرَّفع، والفتحة والكسرة والألف والياء وحذف النون علامة النَّصب، والسُّكون وحذف النون وحذف حرف العلة علامات الجزم، إذ تتطابق العلامات الإعرابية للَّغة العربية واللَّغة الأوغاريتيَّة حتَّى في الحالات الخاصة، كنصب جمع المؤنث السَّالم بالكسرة، وجرًا الممنوع من الصَّرف بالفتحة.

ومن الأمثلة نجد ما يأتي:

yml>u ibhbšm20ult

وترجمتها: يملأ قلبها بالسَّعادة، إذ مكن ملاحظة علامة الرَّفع (الضمَّة) آخر الفعل المضارع المرفوع (ymisu) أي يملأُ.

ومن الأمثلة التي تسوقها من الأغاريتية أيضا العبارة الآتية:

> apnk20zr>illw

وترجمتها: وبناه عليه البطل، فظهرت حركة الرَّفع (الضمَّة) آخر الفاعل (ilhu>) أي البطل.

وتأتي الفتحة في المثال الآتي:

lyhpkks>a mlkk

[1] – عامر سليمان، اللَّغة الأكاديَّة، دار الكتب للَّطباعة والنَّشر، الموصل، العراق، (د. ط)، 1991، ص 206-207.

وترجمتها بالتأكيد سيقلب عرش الملك، إذ جاءت (ks>a) بمعنى (عرش أو كرسي) منصوبة لأنها في حالة المفعولية[1].

2.4: الإعراب في اللغة العربية الحبشية:

من الأمثلة التي تسوقها توضيحا لحالة النصب في اللّغة الحبشية ما يلي:

wa>aqamkal21t21k21d21na

وترجمتها: وأقمتُ له عهدًا، فقد ظهرت الفتحة آخر كلمة (k21d21na) بمعنى (عهدًا) لأنها في حالة المفعولية[2].

2. 5–الإعراب في اللّغة الآرامية:

نأخذ كمثال السريانية، وهي أحد لهجات الآرامية، حيث نجدها لا تختلف عن العربية في توظيف أسلوب الأمر، فقد جاء في نص (أحيقار) العبارة الآتية:

la tettoraf

بمعنى لا تنزعج إذا أمكن ملاحظة أداة النهي (لا) متبوعة بفعل مضارع[3].

2–6: الإعراب في اللغة العربية:

وصلت إلينا اللغة العربية معربة في نصوص الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وثبوت الإعراب في الشعر الجاهلي والذي وصل عن طريق الرواية دليل يتفق الباحثون –استنادا إليه–على أن العربية كانت لغة الأدب، وكانت معربة واضحة الإعراب قبل الإسلام، واستمرت في إعرابها مع مجيئه وبعده بزمن.

وخصائص الإعراب في لغة العصر الجاهلي والإسلامي لا تختلف عن خصائصها التي رصدها النحويون وبنوا على أساسها قواعد نحوهم، إلا أن محاولة تتبع مراحل تطور ظاهرة الإعراب في اللغة العربية تاريخيا منذ عصور غبرت لا يقف فيه الباحث على ما يشفي الغليل، ويقدم تصورا دقيقا لمراحل ذلك التطور.

---

[1] – إلياس بيطار، قواعد اللغة الأغاريتية، منشوران جامعة دمشق، دمشق، سوريا (د.ط)، 1992، ص 80–88.

[2] – رمضان عبد التَّواب، فصول في الفقه اللغة العربيَّة، ص 384.

[3] – مر. ن، ص 233.

يُذكر أن النقوش العربية القديمة التي استطاع الباحثون العثور عليها، واستطاع المتخصصون قراءتها وفك رموزها لا تنهض دليلا على وجود الإعراب في العربية على الوجه المعروف اليوم؛ وذلك لإهمال تلك النقوش الحركات إهمالا تاما، وأما حالات الإعراب بالحروف فقليلة، ولا تستطيع أن ترسم صورة واضحة عن الإعراب، كما أن الكتابة لم تكن منتشرة في بلاد العرب.[1] «بل كان لا يعرف القراءة والكتابة منهم إلا القليل النادر، فكانوا من أجل ذلك لا يدوّنون أخبارهم العظيمة ومنتجات قرائحهم البارعة، فطبيعي ألا يصل إلينا ما نستطيع أن نعرف لهجاتهم ونستكشف أصل لغاتهم إلا بقايا ضئيلة من هذا النادر القليل/ مما يجعل مهمة الباحث في هذا الموضوع شاقة صعبة».[2]

وحتى النقوش التي عثر عليها –على قلتها–كانت مكتوبة بخط متأثر بالقلم النبطي، أو هو وسط بين النبطي والكوفي العربي. [3] ما يصعّب كذلك الاعتماد عليه في تأصيل ظاهرة الإعراب.

ويذكر "إسرائيل ولفنسون" أن أقرب نقش للعربية هو نقش على قبر الملك "امرئ القيس"، وهو مؤرخ سنة 328 قبل الميلاد، وهو المعروف بـ"نقش النمارة" [4] وهو رغم ذلك نقش آرامي أكثر من كونه عربيا، كما أنه لا يقف دليلا على خاصية الإعراب في زمنه للأسباب المذكورة سابقًا.

وعلى العموم فليس فيما بين أيدينا من مراجع من يوثق مراحل تطور الإعراب في اللغة العربي، ويبقى أول نص عربي موثق، مضبوط، متواتر هو القرآن الكريم.

3/ الإعراب في الخط العربي:

ليس لنا أن نفيض في مراحل تطور الخط العربي؛ لأن ذلك لا يعنينا. والذي يهمنا طبيعة الخط بعد مجيء القرآن، وبداية تدوينه.

---

[1] – محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2001، ص:129.

[2] – إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، مكتبة الاعتماد، مصر، ط1، 1929، ص: 170.

[3] – مر. ن، ص: 189.

[4] – النمارة: قصر صغير للروم، وهي في الحرة الشرقية من جبل الدروز، مر. ن، ص: 190.

فالثابت أن الخط العربي كان عند نزول القرآن يكتب من غير نقط، ومن غير حركات إعرابية، والنسخ المحفوظة من المصاحف العثمانية الأولى دليل على ذلك. وإنما ألحقت الحركات بالخط العربي مخافة اللحن في تلاوة القرآن الكريم، فجاء ما يسمى بنقط الإعراب وصاحبه هو أبو الأسود الدؤلي (69هـ).

أ- صنيع أبي الأسود الدؤلي: يتفق كثير من الروّاة على أنَّ أول رمز كتابي كان على يد أبي الأسود الدؤلي، وقد سميَّ بنقط أبي الأسود؛ لأنه أول من وضع نقط المصاحف، ويروي ابن الأنباري قصَّة صنيعه فيقول:« كتب معاوية إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه، فلمّا قدم عليه فوجده يلحن فردّه إلى زياد، وكتب إليه كتابا يلومه فيه ويقول: "أمثل عبيد الله يضيع؟"، فبعث زياد لأبي الأسود فقال له: "يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله"، فأبى أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل، فوجّه زياد رجلا وقال له :" أقعد في طريق أبي الأسود، فإن مرّ بك، فاقرأ شيئا من القرآن، وتعمّد اللحن فيه، ففعل ذلك، ولما مرّ عليه أبو الأسود، رفع الرَّجل يقرأ:" وَ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنِ المشركِين ورسولِه" -بالخفض- فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال: "عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله"، فبعث إلى زياد يبشره بما سأل، وأمر رجلا من بني قيس: "خذ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتيَّ فانقر واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعلها إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعلها في أسفله، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنَّةً فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتَّى أتى على آخره».[1]

وبهذه الخطوة حظي الخط العربي بمرحلة جديدة في تطوره أسهمت في استجلائه، وإعرابه، ولذلك سمي نقط الإعراب.

وكانت الحركات الإعرابية أول الأمر في شكل نقط: نقطة فوق الخرف دلالة على الفتحة، ونقطة تحت الحرف دلالة على الكسرة، ونقطة بين يدي الحرف دلالة على الضمة، والسكون أهمله، وفي إهماله دلالة عليه.

[1] - السيرافي، أخبار النَّحويين، (د. تح)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1936، ص 16.

ويظهر أن أسماء الحركات الفتحة والضمة والكسرة مشتقة من حركة الشفاه عند النطق بها، وهو من صميم العمل الوصفي القائم على الملاحظة الدقيقة.

ب- صنيع نصر بن عاصم، وأثره في تغيير شكل الحركات: بعدما وضع أبو الأسود نقطه، جاء تلميذه نصر بن عاصم الليثي (89هـ) ووضع ما يسمى بنقط الإعجام، وهو وضع نقط على الحروف المتشابهة في الكتابة،؛ نقطة تحت الباء، ونقطتان فوق التاء ونقطة فوق التاء، وما إلى ذلك، وكان صنيعه مرتبطا بالمصحف كذلك.

وبعد مدة من الزمن بدأ النقطان يختلطان، ما استدعى إيجاد حل لهذه المعضلة المستجدة، فكان ذلك من نصيب عبقري من البصرة وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)؛ حيث استبدل نقط أبي الأسود بالحركات المعروفة اليوم.

ب- صنيع الخليل بن أحمد الفراهيدي: اخترع العبقري الخليل الفراهيدي الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، وهذا أكثر وأوضح عليه العمل، فالفتح شكله مستطيل فوق الحرف، والكسرة كذلك تحته، والضَّم واو صغيرة فوقه، والتنوين زيادة مثلها، وإذا كانت الضمة واوًا صغيرة، فإن الفتحة أيضا ألف مبطوحة فوق الحرف أو مضطجعة على حد تعبير القلقشندي، وكذلك الكسرة هي في الأصل ياء تحت الحرف، ومع تطور الكتابة أخذت كل منها الشَّكل المستعمل، المألوف حتى اليوم[1].

وهذه الحركات كانت خطوة فعالة في سبيل ضبط اللسان عن الخطأ في تلاوة القرآن، وأداة تعليمية طيّعة للناشئة في سبيل التحصيل اللغوي الدقيق للعربية.

4-بداية اللحن وزوال الإعراب:

ذكرنا في عناصر سابقة من البحث أن العرب بقوا محافظين على فصاحتهم منذ العصر الجاهلي حتى صدر الإسلام، وكان دخول الأعاجم الإسلام ومحاولتهم اكتساب اللسان العربي سببا رئيسا في بداية انتشار اللحن، وضعف السليقة العربية.

[1] - أحمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة، ص 136-137.

ويذكر الجاحظ(255هـ) أن أول مظاهر اللحن انتشارا كانت في الإعراب، وهو أول ما اختبل من كلام العرب، ويورد في بيانه نماذج عديدة لمظاهر اللحن وأخبار اللحّانين، ويذكر أن «أول لحن سُمِع بالبادية: هذه عصاتي، وأول لحن سُمع بالعراق: حيِّ على الفلاح»[1].

ومع انتشار اللحن ومخافة العرب وغيرهم من مجانبة الصواب في الإعراب، بدأ العامة في تركه وتسكين أواخر الكلم، حتى اضمحل الإعراب وتلاشى، وحلّت محلّ العربية الفصيحة العاميّة، ويصور لنا مصطفى صادق الرافعي شيوع اللغة العامية وفساد العربية فيقول:« كانت العامية في الأمصار الإسلامية أول عهدها لحنًا صرفًا لِما بقي في أهلها من آثار السليقة، وعلى حساب هذه الآثار كانت درجاتها في القرب من الفصيح والبعد عنه؛ فكانت لا تزال قريبة من الفصحى في عوام الحجاز والمصرين: البصرة والكوفة إلى القرن الثالث...أما العامة في الشام ومصر والسّواد فقد علقوا ألفاظًا كثيرة من الفارسية والرومية والنبطية، فسدت بها لغتهم فسادًا كبيرًا»[2]. ويواصل في عرض مراحل ظهور العاميات وتطورها وخصائصها بما غلبت على لسان العامة والخاصة، وأضحت الفصحى حبيسة التعليم ومدارسة النصوص الفصيحة، وهكذا غلبت العاميات الفصحى وصارت أداة التواصل الأساسية حتى يومنا هذا.

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د.س)، 2/ 221.

[2] – مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، 1/ 255، وما بعدها.

الفصل الثّاني

ظاهرة الإعراب بين ادّعاء الاصطناع وشرعية الأصالة

المبحث الأول: المنكرون لظاهرة الإعراب.

المبحث الثّاني: المثبتون لأصالة الإعراب.

المبحث الأول: المنكرون لظاهرة الإعراب.

تمهيد:

على الرغم من النتائج العلمية التي توصّل إليها فقه اللغة المقارن، والذي عدّ الإعراب ظاهرة لغوية مميزة للّغات السّامية، ومنها العربية، إلا أن هذه المسألة أسالت حبر العديد من اللغويين، من مستشرقين وعرب، وبين مؤيّد ومعارض لأصالة الإعراب في اللغة العربية خصوصا.

أولا: المستشرقون:

ليس لذي عقل منصف أن ينكر جهود عدد من المستشرقين في إعادة بعث جانب كثير من تراثنا الفكري الغربي الإسلامي عامة، والنحوي بخاصة، كما أسهم بعضهم في التأريخ للفكر النحوي العربي وفي محطات بارزة منه بإنصاف وعدل. ومع ذلك فإننا لانعدم في المقابل وجود مستشرقين انتهكوا حرمة التراث، وتحاملوا عليه في مواضع غير قليلة.

من ذلك ادّعاء بعضهم أن ظاهرة الإعراب ليست خاصية لغوية أصلية في اللغة العربية، وإنّما هي وضع مبتدع اصطنعه النحويون وأسقطوه على نصوص المدونة العربية برمتها، بما في ذلك القرآن الكريم.

ومن المستشرقين الذين شككوا في أهم خصائص اللغة العربية، نذكر:

1-كارل فوللرز: (Karl vollers)

هو أول من ناقش قضية الإنكار، ومن حججه ما يلي:[1]

ـ يرى أن النص الأصلي للقرآن قد كتب بأحد اللهجات الشعبية التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها كما يوجد في غيرها، تلك النهايات المشكلة بالإعراب، وأنه انتقل إلى هذا النص فيما بعد، والذي هو عليه الآن.

[1] – رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص377-378.

_ يرى أن العربية التي رواها لنا النحويون العرب، والموجودة في القرآن، كما احتفظ بها الشعر في موازينه مصنوعة.

_ يشكك في أن يكون البدو الذين خرج منهم الشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة حقيقة.

2-باول كاله (Paul.kahle):

هو ألماني منكر لظاهرة الإعراب، شكّك في صحّة النّص القرآني؛ حيث يُقرُّ بأنّه جُمع بعد وفاة محمد -صلى الله عليه وسلم-بفترة وجيزة، وأنّه غيرُ مُعرب، بل وغير عربي، فكيف يُقرأ هذا النَّص ويُرتَّل.

وقد خصّص فصلًا من كتابه" الذخائر القاهرة" للتدليل على أن الإعراب ألحق بالنص القرآني إلحاقًا بعد ما تمّ جمعه لآخر مرة على عهد "عثمان بن عفان"، فقامت مشكلة: كيف يُقرأ هذا النص ويُرتَّل؟ فانتهى أهل الرأي إلى إلحاق الإعراب به على لغة أهل البدو، والتي اتُّخِذت أساسًا للعربية النموذجية التي ابتدعها النحويون، ثمّ حذيت لغة القرآن على نمطها. [1]

ومن حججه كذلك: [2]

-ذهاب نحويي الكوفة والبصرة إلى البدو، وجمعهم ما أمكنهم من أشعارهم وما يتّصل بهم من حكاياتهم هي في الغالب أخبار عن الحروب الصّغيرة، قد جمعت بهذه الطريقة أساسا للعربيّة النّموذجية، ثم حذيت لغة القرآن على نمطها، وهذا غير منطقي.

_ إضافة علامات مختلفة إلى نصِّ القرآن لضمان صحّه قراءته.

_ يُقرّ "باول كاله" أنّه لم يُذكَر في كتب القراءات بوجه عام شيء عن النّشاط المبكّر للقرَّاء، فقد ضاعت تلك الكتب التي ذكرت شيئا عن هذا النشاط، بل وأهملت فيما عدا خبرا، عادت عليه مؤخرا، يمكن أن يُرى من خلاله ذلك التطور.

---

(1) - رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص378.

(2) – مر. ن، ص378-380.

_ علّق "كاله" على كلمة "إعراب" في قول أبي بكر الصّدّيق: «إنَّ إعراب القرآن لأحبُّ إليَّ من حفظ بعض حروفه"، بقوله: «الإعراب يعني الحركات في أواخر الكلمات العربية طبقا لقواعد العربية الفصحى"، وقد استنتج كاله أنَّ الإلحاح الذي ورد في نصِّ أبي بكر على أن يُقرأ القرآن بالإعراب لا يبدو معقولا إلاّ إذا كان يُقرأُ في الواقع دون إعراب، وأُريدَ له أن يُقرأَ بالإعراب الذي عُدَّ في وقت متأخِّر من مظاهر الصِّحَّة اللُّغويُّة.

3-كوهين :(kohin)

من المستشرقين الفرنسيين، متخصص في دراسة اللغات السامية، يستبعد كل الاستبعاد أصالة الإعراب في اللغة العربية، ويقيم رأيه على دليلين هما:

الأول: تشعب الضوابط الإعرابية ودقتها، إلى درجة يتعذر تطبيقها.

الثاني: تجرّد اللهجات العامية الحديثة المتفرعة من العربية، من آثار الإعراب وقوانينه.

فقواعد الشعر في رأيه تقوم على الإعراب، ولا بد من ذلك، أما النثر فيرى أنه من الصعوبة تطبيق القواعد فيه.

لديه تصور أن النحو صعب، وهو يشبهه بحالنا الآن، فعندما يلقي أحدنا كلمة، أو خطابا يحرص على تطبيق القواعد فيه، وعندما يعود إلى البيت، أو يجالس العامة، فأنه آليا يعود إلى العامية.[1]

4-فولف ديتريش فيشر (Walf Dietrich Fischer):

هو كذلك مشكك في ظاهرة الإعراب ووجودها في اللغة العربية، ويرى أن أصل النحو العربي يحيط به الغموض الشديد، ويُرجع شكوكه إلى أدلة منها: [2]

[1] – ينظر: صبحي صالح، دراسات في فيه اللغة، ص124.

[2] – ينظر: يوسف عبد الله الجورانة، نظرات في نشأة النحو العربي، للمستشرق الألماني غولف ديتريش فيشر، جامعة طيبة، المدينة المنورة، السعودية.

_أن كتب طبقات النحويين، تذكر كثيرا من أسماء النحويين الذين عاشوا في القرنين الأول والثاني، إلا أنها لا تحيطنا علما بأفكارهم في النحو، إلا أننا لا نعرف سوى أسماءهم، وبعض عناوين الكتب التي يقال إنها مؤلفاتهم.

_نسبة بداية النحو العربي، تذكر كتب الطبقات هذه-كما عبّر-اسم أبي الأسود الدؤلي، المعروف بشعره قائلة: إنه أول من انصبّ بحثه على اللغة والنحو، ولكن الأخبار المتعلقة بذلك المؤسس المزعوم للنحو العربي، ليست أكثر من أساطير غير ثابتة، حيث لا تتضمن أي تفاصيل ولا سلسلةً وثيقةً للرواية.

_العرب أخذوا النحو من اليونانيين، لأن العرب لما فتحوا مصر، والشام، والعراق في صدر الإسلام، أصبحوا يعيشون في وسط أصحاب الحضارة اليونانية والبيزنطية فأخذوا ما بدا لهم صالحا من العلوم، ومن ذلك علم النحو خاصة بعض المصطلحات كالحركة والإعراب.

-سيبويه ليس ذا منهج علمي، فقد أهدى أبو عبد الله الخوارزمي كتابه لأبي الحسين، وقد تناول فيه جميع العلوم المعروف حينئذ، ومن بينها النحو العربي، وما يثير الدهشة أن الكاتب لا يَذكر اسم سيبويه في كتابه، مع أن كتابه كان منتشرا لمدة علماء زمانه، فلماذا سكت عنه، رغم ما له من مكانة في تاريخ النحو العربي.

وقد استدل المنكرون عموما-ومنهم الأستاذ كوهين-بأدلة كثيرة أهمها دليلان: [1]

الأول: **دليل لغوي**: وهو أن جميع اللّهجات العربية المتشعبة عن العربية والتي تستخدم في البلاد العربية حتى عصرنا مجرّدة من الإعراب، فلو كان أصيلًا فيها لانتقل شيء من نظامها هذا إلى جميع اللّهجات الحاضرة، أو بعضها.

الثاني: **دليل منطقي**: وهو أن قواعد الإعراب شأنها في التّشعب والدّقة وصعوبة التطبيق ما تتطلبه من الانتباه، وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض، لا يعقل أنّها كانت مراعاة في لهجات الحديث تتوخى في العادة السهولة واليسر، وتلجأ إلى أقرب الطرق للتعبير.

ويبدو أنّ هؤلاء المنكرين قد غاب عنهم أمران هامّان يضعّفان أدلّتهم:

[1] – عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص: 161.

الأول: أن اللهجات العربية الحديثة-والتي احتفظت بخصائص لغوية كثيرة تصلها بالعربية التّراثية، وغاب منها الإعراب-جاءت نتيجة تضافر عوامل كثيرة أهمّها تفشي اللحن في عصر المولدين وكثرة الخطأ على ألسنة المستعربين، لاسيما في الإعراب، ما جعلهم يتركونه البتة، وذلك لضعف السّليقة، واكتسابهم العربية اكتسابًا، وشتّان بين متكلم بالسّليقة، ومكتسب للغة.

الثاني: خلطهم بين الإعراب من حيث هو خاصية لغوية تظهر في ألسنة المتكلم المثالي للعربية، وبين الإعراب من حيث هو صناعة نحوية جرّدها النّحويون، وتأثرت في أزمان ما من تاريخ النحو بالفلسفة والمنطق حتى استحالت مطلبًا يصعب إدراكه.

ثمّ إنّ حال المستشرق في تلقي العربية بحال الأعاجم في عصور ماضية، تغيب عنه السليقة التي تؤهله لأن يستخدم العربية بطلاقة دون أن يعرّج على قواعدها، ولعلّ هذا ما أثقل عليهم الإعراب فرأوا في أمر تركه وادّعاء اصطناع أيسر الحلول.

ثانيا: العرب المحدثون المنكرون:

ألقت أفكار المستشرقين بظلالها على فكر كثير من العرب، ليس في مسألة اصطناع الإعراب فحسب؛ بل في مسائل كثيرة تهدّد الفكر اللغوي العربي برمته، وتقصف حصون أمننا اللغوي.

ومن العرب الذين أنكروا كون ظاهرة الإعراب أصيلة في اللغة العربية نجد:

1-قاسم أمين:

لقد كان لقاسم أمين فكرة سامية عن تطور اللغة، وكان الكُتّاب في مِصر يحسبون أن اللغة وسعت كلَّ شيء، ترفض كلَّ جديد، أما قاسم أمين فكان يرى أنه لا حياة للغةٍ لا تتطوّر، وأن باب اللغة يجب أن يبقى مفتوحا على مصراعيه، فأثار ثورة في اللغة العربية، حيث أقر أنّ ما يعطل اللغة العربيّة هو الإعراب، إنه يرى أنّ اللحن شائع بين الذين يقرأون اللغة العربية، وأن قواعد النحو نفسها هي التي تحول دون الفهم.

يقول قاسم أمين:" لم أر بين جميع من عرفتهم شخصا يقرأ كلما يقع تحت نظره من غير لحن، أليس هذا كافيا على وجوب إصلاح اللغة العربيّة؟ لي رأي في الإعراب أذكره هنا بوجه الإجمال: هو أن تبقى أواخر الكلمات الساكنة لا تتحرك بأي عامل من العوامل بهذه الطريقة، وهي طريقة جميع اللغات الأفرنكية واللغة

التركية أيضا -يمكن حذف قواعد النواصب والجوازم والحال والاشتغال-بدون أن يترتب عليه إخلال باللغة إذ تبقى مفرداتها كما هي.

ويقول أيضا: «في اللغات الأخرى يقرأ الإنسان ليفهم، أما في اللغة العربية فإنه يفهم ليقرأ، فإذا أراد أن يقرأ الكلمة المركبة من هذه الاحرف الثلاثة "ع.ل.م" يمكنه أن يقرأها عَلَمٌ أو عِلْمٌ أو عُلّمَ أو عَلِم أو عَلَّمَ، ولا يستطيع أن يختار واحدة من هذه الطرق إلا بعد أن يفهم معنى الجملة فهي التي تعيّن النطق الصحيح لذلك كانت القراءة عندنا من أصعب الفنون.[1]

ـــإنّ قاسم أمين قد أسرف حيث قدر العلاج، فقد لا يبدو أمر استعارة الألفاظ والمفردات غريبا، لأن ألفاظ اللغة نفسها حسب رأيه في تطور دائما ولأنها مهما استعارت أو انتحلت من الألفاظ الأخرى فهي لن تفقد شيئا من كيانها، فإذا أنت استعملت (الأوتوموبيل) في كتابتك فأنت لم تضح بشيء من لازمات اللغة، أما إذا أنت حاولت أن تتجاهل الإعراب والقواعد، فإن لغتك لن تكون لغة عربية، بل قل إنها لن تكون اية لغة معروفة حتى الساعة.

ـــيرى قاسم أمين أنّ لكلّ لغة تركيبية خلقا خاصا لا تكون لغة إلّا به، واللغة العربية لغة تركيبية تمتاز بأحوال البناء والإعراب، تتشكّل معانيها حسب حركات أواخرها، وليست حالات الإعراب هذه إلا حالات تتغير بتغير الفكرة.

ـــيرى قاسم أمين أن النّحويين قد أفرطوا في الدّقة والسخاء في الاصطلاحات.[2]

2-إبراهيم أنيس:

هو من أبرز المشكّكين العرب الذين شنّوا هجوما على ظاهرة الإعراب، فهو يُقرّ أنّ قناعاته اللغوية الاولى التي تلقاها في مصر قد هبت عليها رياح الشك بعد سفره الى الغرب، وتأثره بمنهجهم، وقد أباح أنيس بأنّ ما كان لديه في صورة (مسائل لغوية) قد أصبح في صورة (مشاكل لغوية) كما عبّر، فهو يرى أنّ

---

[1] - محمد خاكي، قاسم أمين، سلسلة أعلام الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1973، ص141-144.

[2] - مر.ن، ص 145.

ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقة في متناول العرب جميعا كما يقول النحاة، بل كانت صفة من صفات اللّغة النّموذجية الأدبية.

ويعود تأثره هذا إلى أمرين هما:

أ-اتصاله بدراسات المستشرقين للغات السامية.

ب-اتصاله بدراسات الغربيين للغاتهم الحديثة والقديمة.

وكانت نتيجة تأثره هذا أن حاول استنهاض معاصريه على أن ينسجوا على صنيعه.[1]

ومن أدلته:

_قياس مؤسسي القواعد الإعرابية ما سمعوا على ما لم يسمعوا، وإسرافهم في ذلك.

_تعدّد الآراء حول قضيّة الإعراب، حيث صارت قواعده شديدة التّعقيد والتّكليف، تفنى الأعمار دون الإحاطة بها والسيطرة عليها.

_عدم تورّع النّحويين عن نسبة الخطأ الإعرابي لفحول الشّعراء الجاهليّين.

_وصف النحاة لكلّ من خرج عن قواعدهم باللّحن، حيث أصبح وصمة عار.

_تجريح وسيطرة بعض النّحاة للقراءات القرآنيّة، وردّ قراءتها رغم إذ أنّها رُويت من القرّاء السبعة.[2]

_ليس هناك مدلول للحركة الإعرابية، لأنّها لم تكن تحدّد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النّحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض.[3]

_يقرّ أنيس أنّ أسماء المجموعة اللغوية اللاتينية ليست على الصوره التي اهتدى إليها نحاة العربية، ولعلّ أهمّ فرق بين الرموز اللاتينية وبين حركاتنا الإعرابية أنّ الرّموز اللاتينية لا تسقط مطلقا مع نهاية الأسماء حين

---

[1] – عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص102-109.

[2] – إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1966، ص184-194.

[3] – مر.ن، ص204.

الوقف عليها، كما يحدث غالبا للحركات الإعرابية في لغتنا، ما يجعلنا نرجح أنها ليست رموزا لغوية تشير الى الفاعليّة او المفعوليّة... كما يظنّ البعض بل ترجع إلى أسباب أخرى.

ـــيرى أنّ الاتّجاه في تفسير ظاهرة الإعراب إلى رأي جديد له ما يدعمه من نصوص اللغة والرّوايات القديمة، مايفسّر الظاهرة تفسيرا علميا مؤسَّسا على النّظريات الصوتية الحديثة، التي ليست سوى تطوّرا للّهجات القديمة.

ـــيرى أنّ النّحاة سمعوا شيئا وأخطؤوا تفسيرَه، واستنبطوا قواعد قبل أن يتم لهم الاستقراء، فاختلطت عليهم الآراء، وكثُرت الأقوال، فأهملوا ما أهملوا وقاسوا ماقاسوا، ثم خرجوا على النّاس بقواعد إعرابية فرضوها عليهم فرضا.

ـــأبدى إبراهيم أنيس رأيه في الإعراب بالحركات، حيث رجّحَ أنّ تحريك أواخر كلّ الكلمات لم يكن في أصل نشأته إلا صورة للتخلص من التقاء الساكنين، فالنّحاة أعيَتهم القواعد، وشقَّ عليهم استنباطها، ففصلوا بين عناصر الظاهرة الواحدة، وهذا راجع لتأثرهم ممّا رأوه في لغات اخرى أي ما يفرّق بين حالات الأسماء، ويرمز في نهايتها برموز أخرى.[1]

3-داود عبده:

حاول "داود عبده" أن يفسّر الحركات في أواخر الكلمات تفسيرا جديدا، يختلف عمّا سبقه من تفسير، فليست الحركات عنده دوالًّا على معانٍ، وليست للوصل بين الكلمات بعضها ببعض، ولكنها -أي الحركات في آخر الكلمات- عنده أنواع نوع للوصل، كالكسر في آخر الكلمة الأولى في مثل (ذهبتِ البنت) و (هلِ انسحبتِ)، ونوع هو جزء من الكلمة كالضّمه في آخر (منذُ)، والفتحة في آخر (سوفَ) ونوع هو علامة كالفتحة في آخر (كتبَ) والكسرة في آخر(أنتِ)، ويستدرك متسائلا :"ولكن ماذا عن الضّمّة الّتي تلحق اللّام في مثل (جاء الرَّجلُ)، والفتحة التي تلحقها في مثل (رأيت الرّجل)، والكسرةالتي تلحقها في مثل (مررتُ بالرّجلِ) ؟" ، ويجيب:" هي حركات ليست للوصل، وليست علامات بالمعنى الذي

[1] – إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص206-239.

أشرنا إليه، فهل هي حركات إعرابية؟ أم أنها أجزاء من الكلمات؟، ويجيب عن تساؤله الأخير قائلا: "إنّ هذه الحركات التي تلحق كلمة (الرجل) في الجملة السابقة، لا تدلّ في نظري على وظيفة نحوية، أي على الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة... الخ.[1]

_يحاول داود أن يثبت أنّ تركيب الجملة هو الأصل في تحديد المعنى، يتساءل ثانية :" فما الحركات الموجودة في آخر كلمة (رجل) في مثل (جاء الرّجلُ) و(رأيت الرّجلَ) و(مررت بالرجلِ) ويجيب على الترجيح قائلا: "أغلب الظّن أنها كانت في الأصل جزءا من الكلمة، وأنها كانت حركة واحدة في جميع الحالات التي تقع فيها الكلمة تماما، كحركة الرّاء او الجيم، فليس غريبا أن تتألّف كلمة (رجل) من ثلاثة أصوات صحيحة، كلٌّ منها مَتْلُوٌّ بصوت مد (حركة)، وإذا كنّا لا نجد غرابة أن تكون حركة الرّاء أو حركة الجيم جزءا من الكلمة، فلمَ نستغرب أن تكون حركة اللّام جزءا من الكلمة.

والخلاصة أننا لسنا نعرف على وجه التحديد نوع هذه الحركة، ويفترض أنّ بعض اللّهجات كانت تجعلها الفتحة، وبعضها الضّمّة، وبعضها الكسرة، ولكنّ النّحاة الذين ألّفوا بين هذه الحالات، وأعطوا كلا منها معنى خاصا بها، فأعطوا الضمة معنى الفاعلية، والفتحة المفعولية، والكسرة معنى الإضافة وهكذا.

ورأي داود يتلخّص في أن الحركات ليست دوالا على معانٍ، وأنها جزء من هذه الكلمات، كما هو الحال في الكلمات المبنية، وأنّ النّحاة هم الّذين جمعوا هذا التّنوع وصنّفوه، وأعطوا لكل حالة منها معنى على ما بنيت آنفا.

ومن أدلته على ذلك:

_أنّ النّحاة خصّوا بعض الكلمات بثبات وضعها وهي (المبنيات) وغيّروا بعضها الآخر، وهو المعروف بالمعربات (بالتغيير)، فلمْ يبقوه على حاله الذي وجدوه عليه مثل (المبنيات)، ولكننا لا نعرف على وجه اليقين لمصلحة من تم هذا التفريق، ولا لأي غرض.

[1] – محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة، ص273.

_أنّ اللغة ظلّت على الوضع المفترض حتى جاء النحاة، وأنّ الشّعر العربي الذي يلتزم في قوافيه حركة مطّرده مع وضعها الإعرابي الذي وصفه النحاة، كانت الكلمات فيه تلتزم بوضعها العشوائي غير المعروف على التحديد، وأن القرآن الكريم كذلك كان يقرأ بهذه الطريقة المفترضة التي تؤدي الى هذا التّخالف بين الحركات وما وصفها به النحاة من اطّراد في الفاعلية والمفعوليه وغيرهما.

_أنّ اللّهجات العربية كانت تتباين تباينا شاسعا فيما بينها، بحيث لا يجمعها رابط، ولا تقرب بينها وشيجه، وأنّ النّحويين ايضا –سامحهم الله–على حد تعبيره، هم الذين أقاموا لغة لم تكن موجودة أو معروفة من بين هذه اللهجات.[1]

ثالثا: أبعاد القول بإنكار ظاهرة الإعراب.

قد لا يعدو النّقاش في مسألة الإعراب بين الاصطناع والأصالة عند بعض الدارسين أن يكون غثاء لا يسمن ولا يغني من جوع، فما الفرق بين قائل بهذا الرأي أو ذاك، طالما أن الإعراب واقع ملموس في نصوص المدونة العربية على الأقل، ومازال مستمرًّا في نماذج من العربية المعاصرة.

والحق أن أبعاد هذه المسألة أبعد غورًا من هذا الطرح البسيط؛ ذلك أنها مسألة دقيقة منطلقها معرفي، وأبعادها ثقافية أبستمولوجية، وإن كان الأمر يبدو في مجمله لغويًّا، فهو في حيثيّاته فكري، ثقافي، حضاري. (2)

فلا تقف مسألة إنكار ظاهرة الإعراب عند إنكار حركات في أواخر الكلمة أو ادعاء اصطناعها فحسب؛ إذ لو كان مبتدئ الأمر منها ومنتهاه إليها لما كانت قضية تستحق النقاش أصلا، لكن لها أبعادا خطيرة تلقي بخيوطها على جوانب عديدة دينية ولغوية وتاريخية وثقافية.

ولعلّ أهم أبعاد القول باصطناع ظاهرة الإعراب في اللغة العربية نلمحه في الآتي:

1–الطعن في صحة النص القرآني: أي الطعن والتشكيك في لغته، وهذا الهجوم على القوام الثقافي للإسلام والمسلمين في العالم يشغل جبهات كثيرة، وأخطرها ما يتّخذ العربية لغة هذا الدين هدفا له، فيوجّه

---

(1) – مر.ن، ص274-275.

(2) – عبد السلام المسدي: العربية والإعراب، ص: 113، 115.

الطعن إليها مدركا أنّ زعزعة أي من ثوابت اللغة العربية –أصالتها في ألفاظها أو معانيها او خصائصها– يخل بأهم أسس الاحتجاج وهو القرآن الكريم، ما يجعل العربية نفسها في متناول ذوي الأهواء الذين يجحدون أصالة إعرابيها ودلالته على المعاني التركيبية فيها، والدعوة إلى عدم أصالة الإعراب في القرآن الكريم، بمعنى أنّ الإعراب أمر مستحدث لم يكن موجودا في اللغة العربية، وقد صرح بعض المشككين أنّ القرآن نفسه كان في أوّل أمره غير معرب، ثم لما اخترع النحاة الإعراب، حذوا لغة القرآن عليه أي طبّقوا الإعراب في النص القرآني، وزَعمُهم هذا يعني أنّ القرآن قد تعرض للتدخل البشري في صياغته، وهذا عبث وباب لكل عبث بمقدسات الإسلام.

إنّ هذا الزعم وما يبنى عليه هو في الحقيقة تعبير عن عقيدة الذين ينكرون أنّ القرآن كلام الله ويدعون أنّه كلام البشر.[1]

وعليه فالطعن والتشكيك في لغة القرآن جرم كبير؛ لأنه كتاب مقدس لا يمكن تجاوزه إطلاقا، فهو معجزة لغوية لا يمكن الإتيان بمثلها، كونه تحدٍّ للشعراء والأدباء الفصحاء، فهو كلام رباني إلهي خالص، حيث تحدّى الله هؤلاء الأقوام بما برعوا فيه، كما تحدّى قوم موسى عليه السلام بالسحر، فجاء القرآن متماشيا مع الفطرة السّليمة الخالصة للعربي وهي السليقة، حيث يقول تعالى:﴿**قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَت الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء/ 88]، ومن الآية الكريمة نعرف وندرك مدى تفرد القرآن بالأسلوب والجمالية والقوة اللّغوية والنظم ودقة الضبط.

يقول عبد السلام المسدي: "فإن كان الإعراب صفة غير محايثة للغة العربية في الجاهلية، فكيف ينزّل القرآن على هذا النّسق الإعرابي، والحال أنه جاء يتحداهم ليعجزهم استدراجا بهم الى التصديق".[2]

2–الطّعن في أبواب النّحو: ادّعى جاحدو أصالة الإعراب على تشعب قواعد النحو مع دقتها ادعاءات غريبة: [1]

[1] – محمد حسن جبل، دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية، ص7–8.

[2] – عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص111.

_أنه لا يعقل أنّ عرب القرون الأولى الأميين كانوا يلتزمون بتلك القواعد المتشعبة.

_أنّ عقليات هؤلاء قاصرة على إنشاء هذه القواعد الدقيقة.

_أنّ هذه القواعد اقتُبست من لغات أخرى.

وعليه فإنّ ما يبطل ويبعد هذه الادّعاءات هو أنّ هؤلاء الأميين يتعاملون باللّغة فطريا وتلقائيا دون الإحساس بالتّشعب.

_إنّ القول أيضا بقصور عقليّة العرب هو عنصريّة مبنيّة على رأي فاسد، والدّعاء والتّكلم في القواعد، ثم تطبيقها على العربيّة هو بناء على المستحيلات.

_إنّ ادّعاء تطبيق القواعد بعد وضعها على القران هو ادّعاء مغرق في الجزافية، وعليه فإن نشأة النّحو كانت ضرورة، وتمّت بالتدرج.

_إنّ بيان تشعّب قواعد الإعراب هو مجرّد تشقيق علمي، وراءه قواعد كليه محدودة ضابطة.

_إنّ الطّعن في أبواب النحو يعني الطعن في أصالة الإعراب، وهذا يحيل آليّا على بطلان الجهود النّحوية، كون الأحكام النّحوية مرجعها الأول فصاحة العربي الذي يتكلّم بالفطرة على السّليقة، وهذا أكثر الادّعاءات إغراقا في الجزافية وفي الدّلالة على فقد أصحاب هذا الادّعاء لصفة التّمحيص وانعدام النّظر، لأن قصة نشأة النّحو في غاية الشّهرة ،وقد تطرّقتُ لهذا في الفصل النّظري، حيث كانت هذه النّشأة الهائلة العظيمة بسبب انتشار اللّحن الشّفوي والخوف على لغة الدّين من الضّياع، فكانت نشاة علم النّحو ضرورة مُلِحّة، لأنّه عنصر مهم في لغة القرآن التي يناط البناء العقائدي والتّشريعي للمجتمع الإسلامي بالضّبط الكامل لمعانيها ومبانيها حفاظا على سلامة معطياتها ودقّتها، فاختلال هذا العنصر يؤدّي الى إبهام واختلال ما يؤخذ من الكتاب والسنة والآثار الشارحة لهما من مقررات تصوغ الحياة الدينيّة للأمّة.

---

(1) – محمد حسن جبل، دفاع عن القران الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية، ص41-42.

وخلاصة هذا كله أنّ دوافع نشأة علم النّحو لم تكن ترفا ولا نافلة يمكن تخطيها، ولكنّه كان ضرورة وتلبية لحاجات ملحة والحاجة تفتق الحيلة.[1]

3/**إنّ ثبوت ادّعاء اصطناع الإعراب في اللّغة العربيّة يعني أنّ النّص القرآني كان خاليا من الضّبط الإعرابي**، وهذا غير جائز منطقيا، فهو يحتوي على ضوابط إعرابيّة صارمة ومحكمة ودقيقة، لأنّ نصّ القرآن مثال توازن اللّغة ودقّتها.

4/**الإقرار بعدم أصالة الإعراب يدل على الشّك في مصادر الاحتجاج بأكملها**، ومنها لغة الشّعر وهذا لا يصحّ، لأنّ قواعد العروض ثابتة إذا اختلّ جزء منها اختلّت بأكملها.

5/ثبوت ادّعاء اصطناع الإعراب يحيل على أنّ العلماء غير أمناء، وأنّ التّاريخ كذب فيما تناقله وهذا ادّعاء باطل كلّ البطلان وفي هذا يقر المسدي أنّ التّاريخ بمادته الأولى وهي الخبر، وكل علم التّاريخ الذي وسيلته الرّواية والمطابقة بأنّ الإعراب حقيقة تاريخية، وليست عارضة اصطناعيّة من عوارض النظر اللغوي والفكر النحوي والعقل الكائد.[2]

6/ إبطال الإعراب، أو الدّعوة إلى إلغائه يبطل سليقة لغوية متأصلة في كثير من المتمسكين بالعربية الفصيحة المنقولة إلينا في نصوص القرآن والحديث.

7/إبطال الإعراب يحيل على إبطال أحكام شرعية كثيرة مناط الحكم فيها مبني على دلالة تلك الحركات الإعرابية.

---

[1] – محمد حسن جبل، دفاع عن القران الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية ص51-58-59.

[2] العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، ص106-111.

المبحث الثّاني: المثبتون لأصالة الإعراب.

هناك الكثير من الغيورين على اللغة العربية، ردوا على المشكّكين في أصالة الإعراب، وفنّدوا أقاويلهم، وردوا حججهم، ومنهم مستشرقون وعرب محدثون.

أولا: المستشرقون: من المستشرقين الذين حاولوا إثبات أصالة الإعراب في اللغة العربية نجد:

1-نولدكه (nöldeke):

هو مستشرق ألماني الأصل، وهو أول المستشرقين وأكثرهم تحقيقا، ومن الذين كانت لهم جهود في إثبات أصالة الإعراب في اللغة العربية، فقد وصف رأي فوللرز بالرأي الصبياني السفيه المتوهَّم، ومن حججه:

*يرى أنه من غير المعقول أن يكون -محمد صلى الله عليه وسلم-قد استخدم في القرآن لغة تخالف كل المخالفة تلك اللغة الشائعة في مكة آنذاك.

*يرى أنّ شعر ذلك العصر كان يمثل لغة البدو التي كانوا يتحدثون بها آنذاك، والتي ظلوا يتحدثون بها زمنا طويلا بعد ذلك.

*يرى أنّ الاعتقاد بأنّ اللغة الحيّة في عهد النبي لم يكن فيها إعراب مخالف للمنطق، لأن العلماء في عهد هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل تفاصيله الدقيقة عند البدو. ذكر ذلك في مقال له بعنوان (ملاحظات على لغة العرب القدامى) حيث يقول: «من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحيّة زمن النبيّ محمد (صلّى الله عليه وسلّم) لم يكن فيها إعراب؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكلّ دقائقه في لغة البدو. ولكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيرًا في الحديث اليومي قد عوّدت الأذن على سماع الصيغ الخالية من الإعراب...».

* كما يرى "نولدكه" في الفصل الذي كتبه عن لغة القرآن في كتابه "مقالات جديدة في علم اللغات السامية" أنّه «لو كان النبي (صلّى الله عليه وسلّم) أو أحد معاصريه قد نطق بالقرآن دون إعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك، دون أن يبقى لنا آثار منها.

*يرى أنّ بحور الشعر المعروفة من المستحيل أن ان تناسبها لهجة شديدة الانحراف عن العربية[1] مثال:

[1] – يوهان فك: العربية، ص: 3 [متن الكتاب]

يقول الشنفرى في لاميته:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم وإني إلى قوم سواكم لأميل

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلُ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلُ.

فلو اختلّت حركة دون الزحافات والعلل، لاختلّ الوزن.

2-يوهان فك:(J fuck):

هو مستشرق ألماني الأصل وهو يقرّ بأصالة الإعراب في اللغة العربية. وعرض آراءه مفصلة في كتابه "العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب". ومن حججه: [1]

*يرى يوهان فك أنّ اللغة العربيّة الفصحى قد احتفظت بظاهرة التّصرف الإعرابي كسمة من أقدم السّمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية.

*أشعار البادية في العصور الأولى ترينا علامات الإعراب مطرده، وكاملة السلطان.

*ما يلاحظ في القرآن، لا يحدث إلا في لغة معربة كالمفردات الحرّه في الحركة.

*النّحويون العرب كانوا يذهبون إلى البادية ليدرسوا لغتهم، وهذا دليل على فصاحة اللغة العربية.

*القرآن معرب، والدليل أنه ليس أقل في الدرجة من أقوال الشعراء والخطباء المصوغه بالفصحى.

3-برجشتراسر(Bergstraber):

هو مستشرق ألماني أيضا بحث في نحو اللّغات السّامية، أقرّ في كتابه التطور النحوي بأن الإعراب ساميُّ الأصل، وقد استدلّ على أصالة الإعراب في اللغة العربية من كونه ظاهرة مشتركة بين اللغات السامية، ومن حججه على ذلك: [2]

---

[1] – رمضان عبد التواب، فصول في فيه اللغة، ص 382.

[2] – برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، جمع: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1929، ص: 116، 117، 121.

*نظام الماضي مركب من نوعين من البناء، أحدهما وهو المتكلم أو المخاطب، أقدم في صيغته من الآخر، وهو الغائب ومع ذلك فكلاهما سامي الأصل، كانا ثابتين مستعملين قبل افتراق اللغات السامية.

*إذا كان التنوين علامة التنكير في كل ما تبقى من مستندات اللغة العربيّة، فربما كان في الأصل علامة للتعريف، فكما ذكرنا سابقا أن أصل التنوين هو التمييم فبرجشتراسر يرى أن للتمييم آثارا من معنى التعريف.

*أما عن أسماء العدد فيرى أن أَحَدٌ سامية الأصل، وواحدٌ مشتقة منها، وربما كان الأصل فيها هو الافتعال، وهو اتَّحَدَ، وكان يمكنهم أن يصوغوه هكذا على قياس اتّخذ من أخذَ؛ إنّ أكثر أشباه اتّخذ أصل فائها الواو، نحو اتّكل ولهذا كانوا يستطيعون أن يشتقوا من اتّخذ مادة جديدة وهي وجد.

ثانيا: العرب المحدثون:

إنّ دفاع العرب عن اللّغة العربيّة نابع عن اهتمامهم وتعلقهم واعتزازهم بها، وقبل كل هذا انتمائهم لها، كونها تعبر عن الهوية والثقافة المشتركة فهي عريقة التاريخ الذي يمتد لآلاف السنين.

وعليه فقد رفض كثير من الدّارسين العرب المحدثين التّشكيك في ظاهرة الإعراب، كونها أصيلة في اللغة العربية ودافعوا عنها دفاعا قويا غيرة عليها.

ومن المثبتين لهذا الرأي نجد:

1-عبد الواحد وافي:

هو مصري، من رواد علم الاجتماع العربي، أبدى رأيه في قضيّة إنكار الإعراب مستهجنا إياها، فحاول إثبات أصالته في كتابه فقه اللغه ومن أدلته:

أقر عبد الواحد وافي أنّ عدم وجود القواعد في اللهجات العامية الحاضرة لا ينهض دليلا على أنها لم تكن موجودة، في العربية الأولى، فقد انتاب أصوات اللغة العربية وقواعدها في هذه اللهجات كثير من

صنوف التغيُّر والانحراف، وقد خضعت لقوانين التطور في مفرداتها وأوزانها ودلالاتها فبعدت بعدا كبيرا عن أصلها.

*لا يستغرب أن تتّفق اللّهجات العامية جميعا في التّجرد من علامات الإعراب، فقد خضعت لقانون من قوانين التطور الصّوتي، وهو ضعف أصوات الأخيرة في الكلمة وانقراضها، وهو قانون عام خضعت له جميع اللغات الانسانية في تطورها، فما كان يمكن أن تفلت منه لهجة من اللهجات العامية المنشعبة عن العربيّة.

*يرى أنّه بقي في اللهجات العامية الحاضرة كثير من آثار الإعراب، وخاصة الإعراب بالحروف، وينطبق بجمع المذكر السّالم مع الياء والنون (الطيبين، المؤمنين)، وفي معظم لهجات العراق والحجاز ونجد في العصر الحاضر ينطق بالأفعال الخمسة مثبتة فيها نون الإعراب (يمشون، تمشين، تمشون...)، وروى بعض الباحثين أنّ آثار الإعراب بالحركات لا تزال باقية في لهجات بعض القبائل الحجازية في العصر الحاضر.

*يقرّ عبد الواحد وافي بأنه يُستفاد كثيرا من كتب التاريخ، وبخاصة كتب أبي الفداء، ذلك أنّ بعض علامات الإعراب ظلّت باقية في بعض اللهجات المحادثة المنشعبة حتى أواخر العصور الوسطى.

*يرى أنّ دقه القواعد وتشعبها لا يدلان مطلقا على أنها مخترعة اختراعا، فاليونانيّة واللّاتينيّة مثلا في العصور القديمة، والألمانية في العصر الحاضر، تشتمل كل واحدة منها على قواعد لا تقل دقتها وتشعبها عن قواعد اللغة العربية، ولم يؤثر هذا في انتقالها من جيل الى جيل عن طريق التّقليد، ولا في مراعاتها في الحديث، ولم يقل أحد أنها من خلق علماء القواعد.[1]

*يرى أنّ خلق القواعد خلقا محاولة لا يتصورها العقل، ولا يمكن أن يفكر فيها عاقل، أو يتصور نجاحها، لأنّ قواعد اللغة ليست من الأمور التي تُفرض على الناس، بل تنشأ من تلقاء نفسها وتتكون بالتدريج.

*علماء القواعد العربية لم يكونوا على علم باليونانية وقواعدها، هذا لأنّ القواعد العربية تختلف عن طبيعتها ومنهجها اختلافا جوهريا عن القواعد اليونانية، فلو كانت العربية قد اخترعت على غرار القواعد اليونانية كما يزعمون لجاءت متفقة معها، أو على الأقل مشابهة لها في الأصول والمناهج.

[1] – عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 162.

ومن الجدير في هاته المسألة التنبيه على أن ثمة ردودا كثيرة على التشكيك في أصلة النحو العربي، وادعاء تأثره بأنحاء أخرى، ولعل من أجود الردود ما جاء على لسان علي أبو المكارم في كتابه "تقويم الفكر النحوي".[1]

*إنّ علماء البصرة والكوفة كانوا يلاحظون المحادثة العربية في أصح مظاهرها، ويستنبطون قواعد من هذه الملاحظة، فكانوا يبذلون في سبيل ذلك الكثير من وقتهم وجهودهم، فكانوا يرحلون إلى الأعراب في باديتهم ويقضون عندهم الشهور بل السنين؛ والعلماء هذا شأنهم دقة واحتياطا وإخلاصا للعلم، ولا يعقل أن يتواطؤوا جميعا على مثل هذا الإفك المبين.

*النقوش التي كُشفت حديثا في شمال الحجاز أقطع دلالة على أنّ الإعراب كان مستخدما في العربية البائدة.

*عدم انفراد اللغة العربيّة من بين أخواتها الساميات انفرادا كاملا بنظام الإعراب، لأن للأخير آثارا في اللّغات الحبشيّة الساميّة، ورغم أنها محدودة وضئيلة، إلا أنها دليل قاطع على أنّه منحدر من الأصل السّامي الأوّل، وليس من خلق النحاة.

*ارتكاز أوزان الشّعر العربي وقواعده الموسيقية على ملاحظة نظام الإعراب في المفردات، فمن دون إعراب الكلمات تختل أوزان الشعر وتضطرب موسيقاه، وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الأوزان سابقة لعلماء النحو، وأنّ شعرا عربيا كثيرا قيل على غرارها قبل الاسلام وبعده، قبل أن يخلق هؤلاء العلماء، فإنكار هذا الشعر لا سبيل إليه، ولا يمكن أن يكون قد أُلف غير معرب الكلمات، لأنّ عدم إعرابها يترتب عليه اضطراب أوزانه واختلال موسيقاه.

*رسم المصحف العثماني مع تجرده من الإعجام والشّكل، يرمز إلى كثير من علامات الإعراب بالحروف (المؤمنون، المؤمنين...)، وعلامة إعراب المنصوب المنون (رسولاً شهيدًا بعيرًا...) ...، من الواضح أنّ هذا

[1] – ينظر تفصيل القول في المسألة : علي أبو المكارم: تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص: 71، 72

الرَّسم قد دُوّن في عصر سابق بأمد غير قصير لعهد علماء البصرة والكوفة الذين تنسب إليهم قضية اختراع الإعراب. [1]

2-محمد حسن جبل:

هو لغويّ وأكاديميّ مصريّ، من المنتصرين لأصالة ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، ويرى بأن الطّعن في أصالة اللغة العربية وتاريخها، أو في أصالة أهم روافدها القديمه كالشعر الجاهلي -كما زعم بعض المستشرقين والعرب-هجوم مزعزع لثوابت اللغة العربية كأصالة ألفاظها أو معانيها أو خصائصها.

ومن أدلة محمد جبل ما يلي:

*ثبوت انفراد العربية بين أخواتها السّاميات بظاهرة الإعراب هي وبعض اللّغات أمر يقينيّ واقعيّ تحقّق بالنقوش، وشهد به العلماء المتخصّصون.

*احتفاظ العربية القديمة بحالات الإعراب الثّلاث الرّئيسية سالمة.

*أقوى سجلات الإعراب وأكملها في الشّعر الجاهلي يقطع بأصالته في اللغة العربية.

*الظواهر اللغوية العربية متكاملة النّظام عامّة التطبيق، لا تولد بشكل فجائي، بل تحتاج قرونا وقرونا لتتكامل وتعم، وتمتزج بصميم النّظام اللّغوي على ما هو الحال في الإعراب بالنّسبة للّغة العربيّة.[2]

*صياغة الشّعر العربي العمودي، كما في الشّعر الجاهلي تساعد مساعدة عظيمة على حفظه وبقائه حيًّا في الذّاكرة، وعلى استرجاعه عندما يُحتاج إلى ذلك، حيث أنّ الاتّزان الدّقيق المطرد في تفاعل كل قصيده يربي حسًّا مرهفا يُنبِّه إلى أي اختلال في الكلمات أو الحروف، ويستنفر الذاكرة أقوى استنفار لتلافى هذا الاختلال[3]

---

[1] عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص164.

[2] – محمد حسن جبل، أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية، البربري للطباعة الحديثة، بسيون، مصر، (د. ط)، ص8-34.

[3] محمد حسن جبل، أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية، ص102.

3-عبد السّلام المسدي:

هو أكاديمي تونسيّ، ومن أهم الباحثين في مجال اللغة. كان من أبرز من رد على المشككين في أصالة الإعراب في اللغة العربية، وله جهود في ذلك واردة في كتابه "العربية والإعراب"، وكانت ردوده مفحمة على إبراهيم أنيس ووصفها بالغرابة. وتحمل ردوده هاته أدلة قوية لا مجال للشك فيها:

*العنوان الذي اختاره إبراهيم أنيس هو (من أسرار اللغة) وهذا العنوان يوحي بأنه بحث في المستور والمنحجب من الظاهرة اللغوية ولكن مضامين هذا الكتاب جاءت حول اللغة العربية فهي بهذا تندرج ضمن سياق الكليات حيث تتحول المباحث النوعية إلى قضايا قابلة للتعميم على كل مجانس لساني.[1]

*يقر إبراهيم أنيس بأنه تأثر بدراسات المستشرقين للغات السامية ودراسة الغربيين للغاتهم الحديثة والقديمة.

أما مرجعيته الأولى فالعارف يقينا بعلم أن الحركة الاستشراقية على امتداد عقود القرن العشرين -وفي مجال اللغويات بالتخصيص-قد كانت في أواخر القوافل بين المهتمين بتطور هذا الحقل من المعرفة والمتتبعين لحركة قفزاته النوعية في إطار ما يصطلح عليها بالألسنية أو اللسانيات، ولا شطط في هذا القول بأن المستشرقين الذين تخصصوا في المعرفة اللغوية لم يكن في وسع أي مستشرق أن يذهب في هذا الحقل -وإن تخصص في الأدب والتاريخ والإسلاميات -قد ظلوا ملتصقين بالمنهج الفيلولوجي العام أكثر من المنهج اللساني الخالص.

وعليه فقد ظلت اللسانيات -على أيدي المستشرقين وعلى أيدي تلاميذهم-مقيدة في سياج البحث التاريخي الذي هو مرجع تأسيسي في توثيق الأصول وتدوين التحولات ولكنه أبعد ما يكون عن البحث في الكليات التي هي مناط اللسانيات النظرية.

*أمّا عن مرجعيته الثانية وهي دراسات الغربيين المقارنة للغاتهم التي أبدى إعجابه بها ووصفها بالعظمة وهنا تتكشف بعض الخبايا المعرفية القاسية لأن الدراسات اللسانية المقارنة إرث القرن 19 وهي بذلك قد أخذت

[1] - عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص101-102.

في الأفول بعد زمن، أمّا عندما بُعث إبراهيم أنيس ليعدّ رسالته في انجلترا فهي قد أتمت دورتها وأسلمت الأمر إلى ما عيّنه التاريخ خليفة لها في مجال تعاقب المناهج اللسانية.

*إنّ قوله بأن العلماء هناك يحكمون على ظاهرة لغوية في ضوء ظواهر أخرى فمجانب للصواب لأن الترقي من اللسان إلى اللغة يقع على مدارج البحث في الكليات لا على مزالق البحث في الخصوصيات.

*إن عنوان الفصل الثالث في كتابه قصة الإعراب هي صيغة بما تبطنه من تحويل دليل وما تستند إليه من تعمد أسلوب التخيير في الجمع بين لفظة القصة ولفظة الإعراب أقرب إلى المجاز منها الى الحقيقة حتى العرفية منها وهذا ما لم يأت مثله في سائر أبواب الكتاب إجمالا وتفصيلا.

*مزج إبراهيم أنيس بين مدلولات ثلاثة من وراء دال وحيد وهو الإعراب من حيث هو خصيصة محايثة ومن حيث هو صناعة نحوية ومن حيث هو ملك يقع ترويضها بالاكتساب وفي هذا خلط للمفاهيم سواء كان ذلك بقصد أو بغير قصد ما يؤدي الى التلبيس في استعمال المصطلح.

*تحدث إبراهيم أنيس عن الإعراب من حيث هو مهارة الإفصاح عندما يأتي المتكلم باللغة السليمة المعربة كما تأتي السليقة الفطرية، وهنا يصادر على أنّ النّحاة بالضرورة أفصح الناس عند ارتجال الخطاب وأيضا يصادر أن المتكلم ما لم يكن خبيرا بحيثيات وصف اللغة وتحليل بناها التركيبية فإنه قاصر على آداء الملكة اللغوية فهو هنا لا يفرق بين الصناعة والملكة، وهذا غير منطقي.[1]

*يردّ المسدي على ادّعاء وضع النحاة للإعراب في الفرضية التي تقول بأن صناع الكلام قد أحكموا الإعراب إحكاما مع أواخر القرن الماضي فالمسدي هنا يتساءل مستغربا: أ فكان الخليل إذا وتلميذه سيبويه يشتغلان في برج من أبراج الفكر النظري المجرد وقد انقطعا عن واقع التاريخ انقطاعا كليا أم كان التاريخ بمادته الأولى التي هي الخبر وكل علم التاريخ الذي وسيلته الرّواية والتخريج والمطابقة معا في قفص الاتهام في هذا الأمر وكل الأمر؟

[1] – عبد السلام المسدي: العربية والإعراب، ص103-106.

*تناقض إبراهيم أنيس مع نفسه عندما قال في صفحة واحدة عنونها بقوله "النظرة الحديثة": "لكل لغة منطقها الخاص ونظامها الخاص يراعيه المتكلم بها، ويستمسك به في كلامه لأنه شرط الفهم والإفهام بين الناس في البيئة اللغوية الواحدة" وحين قال :"أصبح العلماء هناك يحكمون على ظاهرة لغوية في ضوء ظواهر لغات اخرى"، فهنا قد نسي ما قاله وأجزم به في طيّات كتاب واحد.

*إن كان الإعراب صفة غير محايثة للغة العربية في الجاهلية كما أقرّ إبراهيم أنيس فكيف ينزل القرآن على هذا النسق الإعرابي والحال أنه جاء يتحداهم ليعجزهم استدراجا بهم الى التصديق ولو افترضنا جدلا أنه رد بالقول من قد يرافع عنه: مالك تدخل في محاورات العقل حجه موردها من غير مورده؟ إنّ التاريخ لا يعرف إلى التّخييل سبيلا وإنما هو الإنسان من فرط خياله قد يظن أنّ التاريخ لم يصدق.[1]

4-صبحي صالح:

هو علامة ولغوي لبناني، من المنتصرين لفكرة أصالة الإعراب في اللغة العربية، استهجن رأي المستشرق الفرنسي كوهين في قضية الإعراب، ووصفه بالرأي الفاسد، لأن الوقائع والوثائق تُكذّب رأيه قديما وحديثا.

من أدلته:

*ليست دقة الاعراب بمانعة أحدا من التّخاطب بلغة معربة، فاللاتينية في العصور القديمة والألمانية في العصر الحاضر تشتمل كلّ منهما على ظاهرة الإعراب، ربما لا يقلّ في دقته وتنوعه عن قواعد العربية الفصحى، ومع ذلك لا تزال الألمانية لغة تخاطب بين الألمان، وظلّت اللّاتينية مدة طويلة لغة تخاطب بين الرومان.

*عدم تجرّد اللّهجات العربيّة الحديثة كلها من آثار الإعراب، فما تبرح هذه الآثار ظاهرة في أقوال البداة في مواطن متفرقة من العالم العربي، فهي تجميد لبقايا يستحيل عليها العدم التام والاضمحلال المطلق.

*إنّ العرب قد ورثوا عربيتهم معربة، وقرؤوا القرآن معربا، وتناقلوا أحاديثا بينهم معربة.

* أمارات الإعراب باطرادها وسلامتها واضحة فيما صح من أشعار الجاهليين.

---

[1] - مر.ن، ص 107-111.

*التّصرف الإعرابي ما فتئ يراعى بدقة بالغة حتى أوائل القرن الثالث الهجري، يوم كان الرواة والإخباريون يختلفون الى الأعراب في البادية، ليأخذوا من أفواههم اللغة، ويعودوا ألسنتهم الفصاحة والبيان.

*ترتيل العرب للقرآن معربا، فمن يرتاب فيه ليس بعاقل، ولم يزعم أيّ عالم من العلماء عامية الأسلوب القرآني، أو تجرده من ظاهرة الإعراب، لأنّ ما في القرآن من الألفاظ الصالحة لأن تقرأ رسما بأكثر من وجه كان السياق فيه غالبا يعيّن قراءته المثلى، ويفرض وجهه الأفضل، ولا يعيّن قراءةً ما إلا بتحريك الأواخر بالحركة الإعرابية المناسبة، ومن أوضح الأمثلة قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر/ 28]، فالمعنى نفسه يفرض رفع العلماء فاعلا، ونصب اسم الجلالة مفعولا، لأنّ المراد حصر الخوف من الله في العلماء، لا حصر الخوف من العلماء في الله، فإنما يخشى الله حقّ خشيته العلماء العارفون بجلاله، وعليه فإنّ تناقل هذه الآية بمراعاة حركات الإعراب مشافهة وتلقينًا دليل على أصالة الإعراب في العربية الفصحى.[1]

ولعلّ خير ما نختم به هذا المبحث قول الأستاذ عبد السلام المسدي، قائلًا: «إنّ العربية شجرة نسغها الإعراب، وإنّ النّحو معرفة لا رُواء لها إلّا الإعراب، ولا يعرف النّحو إلّا من عاناه، ولا يعرف سرّ الإعراب إلّا من وقف على ظلال المعاني من خلال فروة النّحو وشقائق التركيب.

أمّا الإعجاز باللغة في أسمى تجلّياتها فلا يستنشقن أريجه إلّا من أوتي فيضًا يلهمه القدرة على الارتجال باللغة وهي تامّة الأركان، مستوفية لحقوق النّحو، مؤدّية لفرائض الإعراب كما يزداده حين ينكره المنكرون، ولا يزداد تعلّقًا به وحبًّا للغته مثلما يكون له حين يرى من البدع الفكرية ما يسوّل لبعض العلماء العرفين المهرة أن ينافحوا عن استلال العربية من الإعراب، أو التجاوز عن نظام الإعراب تخفيفًا للمشقّة وتيسيرًا لاكتساب اللغة».[2]

---

[1] – صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، ص119.

[2] – عبد السلام المسدي: العربية والإعراب، ص: 100.

انطلاقًا ممّا تمّ عرضه من آراء في مسألة أصالة الإعراب من عدمه في اللغة العربية، وكذا أبعاد هاته المسألة، نخلص مطمئنين إلى شرعية الإعراب وأصالته في اللغة العربية، وهي حقيقة أسطع من تحتاج لأن يُستدلّ عليها؛ إذ يكفي إيماننا بصحة النص القرآني شاهدًا على صحّة ظاهرة الإعراب، ولكن الجدال استدعته معطيات علمية وحضارية تسعى للإقناع لا إثبات المثبت.

ولكن ما ينبغي لنا التخوّف منه تداعيات تلك الادّعاءات الباطلة التي وجدت من آذان بعض العرب وعقولهم مفرغة لترّهاتها، لذا وجب على كلّ غيور على هاته اللغة أن يسعى جاهدًا إلى امتلاك ناصيتها أوّلًا، ثمّ التزود بسلاح الذود عنها كلّ من منبره.

والحق أن الخوف ليس على اللغة ولا على القرآن؛ ذلك أنهما محفوظان من عند الله عزّ وجلّ، وإنّما الخوف من ضياع هويّتنا وانصهارنا في معطيات الحضارة بما يعدم صلتنا بنصنّا المقدّس ولغته، فتضيع بذلك هوّيتنا، وننسلخ من كلّ مقوماتنا، وذلك أسمى ما يصبو إليه الاستعمار الفكري الحديث.

خاتمة

انطلق البحث من محاولة تتبّع مواقف الدارسين من مستشرقين وعرب في مسألة الإعراب بين القائلين باصطناعه، والقائلين بأصالته، وكذا تقصي حجج كلّ فريق بما يرجّح أحد الرأيين، وخلصنا إلى نتائج أهمها:

- تتّسع الدلالة الاصطلاحية لمصطلح الإعراب لمفهومين رئيسين: الأول من حيث هو خاصية لغوية في لغة العرب تخضع للسليقة، والثاني من حيث صناعة نحوية، ولعلّ التباس المعنيين في أذهان بعضهم هو ما جعلهم يرجّحون كفّة اصطناعه.
- على الرغم من التطورات السّريعة لعلم اللغة في العصر الحديث، إلّا أنه يبقى لفقه اللغة المقارن أثر عظيم في تتبع مراحل تطوّر اللغات الإنسانية، واستجلاء حلقات مفقودة من تاريخها تسهم في الإجابة عن تساؤلات عديدة يطرحها اللغويون المحدثون، ومنها مسألة الإعراب في اللغة العربية واللغات السامية.
- تأخذ مسألة ادّعاء الإعراب أبعادًا خطيرة تلقي بظلالها على مناحٍ عديدة، أمرّها التشكيك في صحة النص القرآني، ما يعني الطعن في أمة الإسلام كلّها عقيدةً ومنهجًا وأحكامًا.
- القول باصطناع الإعراب يهدم بمعوله صرح النحو العربي برمّته؛ ويلغي جهود أعلام متعاقبين على مدى قرون متتالية، وهو إشارة خضراء لدعاة العامية لمناهضة العربية الفصحى والقدح في نحوها بما ييسّر عليهم سبيل الاستعاضة عنها بالعاميات، على نحو ما نشهده في كثير من الفضائيات والمحافل العلمية والسياسية.
- تقوم حجج المؤيدين لأصالة الإعراب دليلًا كافيًا لردّ شبهة اصطناعه من طرف مستشرقين وعرب على حدّ سواء.
- انقسام المستشرقين إزاء مسألة أصالة الإعراب من عدمها تثبت حقيقة أن الاستشراق سلاح ذو حدّين، ينبغي التعامل مع أربابه وفق أيديولوجيتهم، وطريقة تعاملهم مع الفكر العربي الإسلامي برمّته.
- يكفي إيماننا بصحة النص القرآني –معجزةِ النبي صلى الله عليه وسلّم–درءًا لكل شبهة تحوم حول النص القرآني ولغته التي شرّفها الله وشرّف أهلها بأن نزل بها، وأولها ادعاء اصطناع الإعراب.
- الخوف من أن تلقى ادعاءات المغرضين آذانًا صاغية ليس على اللغة العربية ولا على القرآن الكريم؛ ذلك أنهما محفوظان من عند الله عزّ وجلّ، وإنّما الخوف من ضياع هويّتنا وانصهارنا في معطيات

الحضارة بما يعدم صلتنا بنصنّا المقدّس ولغته، فتضيع بذلك هوّيتنا، وننسلخ من كلّ مقوماتنا، وذلك أسمى ما يصبو إليه الاستعمار الفكري الحديث.

وأخيرا نسأل الله تعالى أن نكون قد وفّقنا فيما كنّا نصبو إليه، فإن أصبنا فذاك المبتغى وإن أخطأنا فنحسب أن لنا على هدي نبيّنا أجر اجتهادنا، ويكفينا أجرا.

مكتبة البحث

– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)

أوّلا: الكتب التّراثية

- **ابن جنّي: (أبو الفتح عثمان بن جني، ت 392 هـ)**

1-الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط01، 2013.

- **الجاحظ: (ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزاره الليثى ت 255هـ)**

2- البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د.س)، 2/ 221.

- **الزجاجي: (أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، ت 340 هـ)**

3- الإيضاح في علل النحو، تح مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط03، 1979.

- **السيرافي: (أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان، ت 368هـ)**

4-أخبار النَّحويين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1936.

- **السّيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر السيوطي ت 849هـ)**

5-المزهر في علوم اللُّغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1986.

6-الاقتراح في علم أصول النحو، ضبط وتعليق: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، (د. ب)، ط2، 2006.

- **ابن فارس: (أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، ت 395هـ)**

7-الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

ثانيا: الكتب الحديثة

- **أحمد رشاد:**

8-حاتم الطَّائي شاعر الجود والكرم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، 1994.

- **إبراهيم أنيس:**

9- من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1966

- **إلياس بيطار:**

10- قواعد اللغة الأغاريتية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، سوريا (د.ط)، 1992.

- **إسرائيل ولفنسون:**

11- تاريخ اللغات السامية، مكتبة الاعتماد، مصر، ط1، 1929.

- **حسن ظاظا:**

12- الساميون ولغاتهم، دار القلم، دمشق، سوريا، ط02، 1990.

- **خالد إسماعيل:**

13- فقه اللُّغات العاربة المقارن، مكتبة البروج، إربد، الأردن، (د.ط)، 2000.

- **خليل يحي نامي:**

14- دراسات في اللُّغة العربيَّة، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1974.

- **رمضان عبد التواب:**

15- فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط6، 1999.

- **سحر العقَّاد:**

16- ظاهرة الإعراب في اللغات السَّاميَّة، دار الفكر، حلب، سوريا، 1990.

- **عبد السلام المسدي:**

17- العربية والإعراب، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

- **صبحي الصالح:**

18- فقه اللغة في الكتب العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1986.

- **عامر سليمان:**

19- اللَّغة الأكاديَّة، دار الكتب للَّطباعة والنَّشر، الموصل، العراق، (د. ط)، 1991.

- **محمد حسن جبل:**

20- دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغه العربية، البربري للطباعة الحديثة، بسيون، مصر، (د.ط)

- **محمد حماسة عبد اللطيف:**

21- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2001.

- **محمد خاكي وقاسم أمين:**

22- سلسلة أعلام الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1973.

- **عبد الله بن حمد الخثران:**

23- مصطلحات النحو الكوفي: دراستها وتحديد مدلولها، دار هجر، مصر، ط1، 1990.

علي أبو المكارم: تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1985

- **مصطفى صادق الرافعي:**

24- تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط6، 2001.

- **عبد الواحد وافي:**

25- فقه اللَّغة، نهضة مصر، الجيزة، مصر، ط01، 1997.

26- فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2004.

- **يوسف عبد الله الجورانة:**

27- نظرات في نشأة النحو العربي، للمستشرق الألماني غولف ديتريش فيشر، جامعة طيبة، المدينة المنورة، السعودية.

ثالثا: الكتب المترجمة

- **برجشتراسر**

28- التطور النحوي للغة العربية، جمع: **رمضان عبد التواب**، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1929.

- **يوهان فك:**

29- العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب"، تر: عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2004.

رابعا: المعاجم والقواميس

- **أحمد مختار عمر:**

30- معجم اللَّغة العربيَّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 2008.

- **بطرس البستاني**

31- محيط المحيط، مكتبة لبنان، دار رياض الصَّلح، بيروت، لبنان، ط 02، 1987.

- **الشريف الجرجاني: (علي بن محمد بن علي، ت 816 هـ)**

32- التعريفات، تح: محمد المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د. ط).

- **ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري ت 630 هـ)**

33- لسان العرب، (د. تح)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط01، 1998، ج1.

خامسا: المقالات الواردة في المجلات

- **إيثار شوقي سعدون:**

34- ظاهرة الإعراب في النحو العربي، وموقف المحدثين منها، مجلة كلية التربية الأساسية، العراق، ع52، 2007.

- **محمَّد عبد الرحمان محمَّد:**

35- اختلاف اللَّهجات على المستوى التركيبي كتاب توضيح المقاصد والمسالك للمرادي نموذجا، مجلة جامعة جازان، العدد 02، ماي 2013، جامعة جازان، المملكة العربية السُّعودية. 06.

سادسا: المذكرات

- **مخفي عبد الغني:**

36- معجم الألفاظ المشتركة للغات الساميَّة [مذكرة ماستر] جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2016.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

العنوان

قائمة الرموز المستعملة في البحث

مقدّمة ..... **أ–هـ**

الفصل الأول: العربية والإعراب: تأصيل تاريخي.....2–25

المبحث الأول: اللّغة العربية بين اللّغات الإنسانية: تاريخ وتطور. .....2 –12

أولا: الأسس العامة لتقسيم اللغات الإنسانية.....2

1–التقسيم بحسب الشجرة العائلية:.....2

1.1–اللغات السامية: 2

أ–لغات **سامية غربية شمالية:**.....2

ب–لغات سامية شرقية:.....3

ج–لغات جنوبيَّة غربيَّة:.....**4**

2. 1–اللُّغات الحاميَّة: 4

3. 1–خصائص اللُّغات السَّامية:.....5

2–تقسيم اللغات بحسب ظاهرة الإعراب: 5

أ–اللُّغات غير المعربة:.....5

ب–اللُّغات المعربة:.....5

3–طريقة أخرى لتقسيم اللغات إلى فصائل:.....**6**

أ/ اللغات التحليلية: 6

ب/ اللغات الإلصاقية:.....**6**

ج/ اللغات العازلة: 6

ثانيا: تاريخ اللُّغة العربيَّة حتى عصر التدوين.....6

1–أقسام العربيَّة بحسب أقدميتها: 6

أ/ العرب العاربة: 6

ب/ العرب المستعربة: 7

ج/ صراع القحطانيين والعدنانيين: 7

2–العربية بحسب استمرارها:.....8

أ/ العربية البائدة:.....8
ب/ العربية الباقية: 8
3/ العربيَّة الباقية وأشهر لهجاتها: 8
أ/ مظاهر الاختلاف بين اللهجات العربية: 8
أ–1/ المستوى الصوتي: 9
أ–2/ المستوى الصَّرفي: 9
أ–3/ المستوى التَّركيبي: 9
3–لغة قريش وعوامل انتصارها:.....10
أ/ العامل الديني: 10
ب/ العامل الاقتصادي: 10
ج/ العامل السياسي:.....10
4–اللغة العربية زمن نزول القرآن وما بعده:.....12
المبحث الثاني: ظاهرة الإعراب بين اللّغات السّامية والعربية.....13–25
أولا: مفهوم الإعراب.....12
1–لغة:.....12
ب–اصطلاحا:.....14
ثانيا: فائدة الإعراب في الكلام.....16
ثالثا: تأصيل تاريخي لظاهرة الإعراب.....17
1–الإعراب ظاهرة مشتركة بين اللُّغات السَّاميَّة: 17
2/ اللغات المعربة: 18
1. 2– البابلية: 18
2.2–الإعراب في اللغة الأكادية:.....19
3. 2–الإعراب في اللَّغة الأوغاريتَّية: 20
2.4: الإعراب في اللغة العربية الحبشية:.....21
5. 2–الإعراب في اللَّغة الآرامية:.....21
2–6: الإعراب في اللغة العربية: 21

3/ الإعراب في الخط العربي: 22
أ- صنيع أبي الأسود الدؤلي:.....23
ب- صنيع نصر بن عاصم، وأثره في تغيير شكل الحركات: 24
ب- صنيع الخليل بن أحمد الفراهيدي: 24
4-بداية اللحن وزوال الإعراب:.....24
الفصل الثّاني: "ظاهرة الإعراب بين الاصطناع والأصالة".....27-50
المبحث الأول: المنكرون لظاهرة الإعراب.....27-39
أولا: المستشرقون: 27
1-كارل فوللرز: (Karl vollers).....27
2-باول كاله (Paul.kahle): 28
3-كوهين :(kohin).....29
4-فولف ديتريش فيشر (Walf Dietrich Fischer): 29
ثانيا: العرب المحدثون المنكرون:.....31
1-قاسم أمين: 31
2-إبراهيم أنيس: 32
3-داود عبده: 34
ثالثا: أبعاد القول بإنكار ظاهرة الإعراب. 36
1-الطعن في صحة النص القرآني: 36
2-الطّعن في أبواب النّحو: 37
المبحث الثّاني: المثبتون لأصالة الإعراب.....40- 50
أولا: المستشرقون: 1-نولدكه (nöldeke):.....40
2-يوهان فك:(J fuck):.....41
3-برجشتراسر(Bergstraber):.....41
ثانيا: العرب المحدثون:.....42

1-عبد الواحد وافي:.....**42**

2-محمد حسن جبل: 45

3-**عبد السّلام المسدي:**.....**46**

4-صبحي صالح:.....48

خاتمة.....53-52

مكتبة البحث.....58-55

فهرس الموضوعات.....63-60

الملخص.....64

الملخص

الملخص:

عنوان البحث " **ظاهرة الإعراب في اللغة العربية بين الأصالة والاكتساب: دراسة تحليلية نقدية"**، حاول تقصي مواقف الدارسين المحدثين من مستشرقين وعرب إزاء مسألة الإعراب من حيث أصالته أو اصطناعه، والترجيح بين حجج كل فريق بما يقرّ صحة أحد الرأيين، وكذا طرح أبعاد المسألة من جوانب متعددة، أملا في استنهاض همم الغيورين على العربية للذود عنها.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية–الإعراب–الأصالة –الاصطناع–المستشرقون–الدارسون العرب.